KÖPR

٣٩

الحمد لله على الف

من نعم الله على عبده المحتاج لرحمته

ان الارض يرثها عبادي الصالحون

ان الارض

ثم يرثها

نفخ الروح للغزالي

١٠٨٣

عفي عنهما

ص

٨٦

من الرسف نقل الاسم الواحد الى ...

لعدمه مقصودا لا كخفس الابد وكل حق

هذا الجنيد الوحيد والمفرد الواقفين

الوجود على اصطلاح القوم ... طور

وراء طور العقل لا يدرك الا ...

والعيان دون الدليل والبرهان ...

قدس سره في ...

في ...

بسم الله الرحمن الرحيم رب تمم بجودك

سئل الشيخ الامام حجة الاسلام ابو حامد محمد بن
محمد الغزالي قدس الله روحه العزيز عن معنى قوله تعالى فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي وعن معنى التسوية والنفخ فقال
رضي الله عنه التسوية فعل في المحل القابل للروح وهو الطين
في حق آدم والنطفة في حق اولاده بالتصفية وتعديل المزاج
فانه كما لا يقبل النار يابسا محضا كالتراب والحجر ولا رطبا محضا
كالماء بل لا يتعلق الا بمركب ولا كل مركب فان الطين مركب ولا
يشتعل فيه النار بل لا بد بعد تركيب الطين الكثيف من تردد
في اطوار الخلقة حتى يصير نباتا لطيفا فتتشبث به النار
وتشتعل فيه كذلك الطين بعد ان ينشيه الله تعالى خلقا بعد
خلق في اطوار متعاقبة فيصير نباتا فياكله الآدمي فيصير دما
فتنتزع القوة المميزة المركوزة في كل حيوان من الدم صفوه

الذى

الذي هو اقرب الى الاعتدال فيصير نطفة فتقبلها الرحم
ويمتزج بها مني المرأة فيزداد به اعتدالا ثم ينضجها الرحم بحرارتها
فتزداد تناسبا حتى ينتهي في الصفاء والاستواء نسبة الاجزاء الى
الغاية فتستعد لقبول الروح وامساكها كالفتيلة التي تستعد
عن شرب الدهن لقبول النار وامساكها فالنطفة عند تمام الاستواء
والصفاء تستحق باستعدادها روحا يدبرها ويتصرف فيها
فيفيض اليها الروح من جود الجواد الحق الواهب لكل مستحق
ما يستحق ولكل مستعد ما يقبله على قدر قبوله واحتماله من غير
منع وبخل فالتسوية عبارة عن هذه الافعال المرددة لاصل
النطفة في الاطوار السالكة فيها الى صفة الاستواء والاعتدال
وسئل عن النفخ فقال النفخ عبارة عما اشتعل نور الروح
في فتيلة النطفة وللنفخ صورة ونتيجة اما صورته اخراج الهواء
من جوف النافخ الى جوف المنفوخ فيه حتى تشتعل الحطب القابل
للنار فالنفخ سبب الاشتعال وصورة النفخ الذي هو سبب في حق الله
تعالى محال والمسبب غير محال وهو يكنى بالسبب عن الفعل

المستفاد منه كقوله تع غضب الله عليهم وكقوله فانتقمنا
منهم فالغضب عبارة عن نوع تغير في الغضبان يتأذى
به ونتيجته اهلاك المغضوب عليه وايلامه فعبر عن نتيجة
الغضب بالغضب وعن نتيجة الانتقام بالانتقام فكذلك
عبر عما ينتج نتيجة النفخ بالنفخ وان لم يكن على صورة النفخ فقيل
له فما السبب الذى اشتعل به نور الروح في فتيلة النطفة فقال
هو صفة في الفاعل وصفة في القابل اما صفة الفاعل فالجود
الالهى الذى هو ينبوع الوجود وهو فياض بذاته على كل ماله
قبول الوجود في حقيقة وجودها ويعبر عن تلك الصفة
بالقدرة ومثالها فيضان نور الشمس على كل قابل للاستنارة عند
ارتفاع الحجاب بينهما والقابل للاستنارة هى المتلونات دون
الهواء الذى لا لون له اما صفة القابل فالاستواء والاعتدال
الحاصل للتسوية كما قال سويته ومثال صفة القابل صقال الحديد
فان المرآة التى ستر الصدى وجهها لا يقبل الصورة وان كانت
محاذية للصورة فاذا اشتغل الصيقل بتصقيلها فكلما حصل

الصقال

الصقال حصلت فيها الصورة من ذى الصورة المحاذية
وكذلك اذا حصل الاستواء في النطفة حدثت فيها الروح
من خالق الروح من غير تغير في الخالق بل انما حدثت الروح
الآن لا قبله لتغير المحل بحصول الاستواء الآن لا قبله ان الصورة
فاضت من ذى الصورة على المرآة في حكم الوهم من غير تغير حدث
في الصورة ولكن كان لا يحصل من قبل الا الآن الصورة ليست
مهيأة لان تنطبع في المرآة لكن لان المرآة لم تكن صقيلة قابلة

فصل قيل له فما الفيض فقال رضى الله عنه لا ينبغى ان تفهم
من الفيض ما يفهم من فيضان الماء من الاناء على اليد فان
ذلك عبارة عن انفصال جزء مما في الاناء واتصاله باليد بل افهم
منه ما تفهمه من فيضان نور الشمس على الحايط ولقد غلط قوم
في فيضان نور الشمس ايضا فظنوا انه ينفصل من جرم الشمس ويتصل
بالحايط وينبسط عليه وهو خطاء بل نور الشمس سبب لحدوث
شئ يناسبه في النورية وان كان اضعف منه في الحايط المتلون
كفيضان الصورة على المرآة من ذى الصورة لا بمعنى انفصال

جزء من صورة الانسان واتصاله بالمرآة بل على معنى ان صورة
الانسان مثلا سبب لحدوث صورة تماثلها فى المرآة القابلة للمحاكاة
الصورة وليس فيها انفصال وانصال الا السببية المجردة فكذلك
الجود الالهى سبب لحدوث انوار الوجود فى كل ماهية قابلة للوجود
فيعبر عنه بالفيض **فان قيل له** فقد ذكرت التسوية والنفخ
فما الروح وما حقيقته وهل هو حال فى البدن حلول الماء فى الاناء
او حلول العرض فى الجوهر ام هو جوهر قايم بنفسه فان كان
جوهرا فمتحيز ام غير متحيز فان كان متحيزا فما مكانه اهو
القلب ام الدماغ ام موضع اخر وان لم يكن متحيزا فكيف يكون
جوهرا غير متحيز **قال** هذا سؤال عن سر الروح الذى
لم يوذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن كشفه لمن ليس اهلا
له فان كنت من اهله فاسمع واعلم ان الروح ليس بجسم
يحل البدن حلول الماء فى الاناء ولا هو عرض يحل القلب والدماغ
حلول السواد فى الاسود والعلم فى العالم بل هو جوهر وليس بعرض
لانه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات وهذه علوم

والعلوم

والعلوم عرض ولو كان هو عرضا والعلم قايم به لكان قيام
العرض بالعرض وهذا خلاف المعقول ولان العرض الواحد لا يفيد
الا واحدا فيما قام به والروح يفيد حكمين متغايرين فانه
حين ما يعرف خالقه يعرف نفسه فدل ان الروح ليس بعرض
والعرض لا يتصف بهذه الصفات ولا هو جسم لان الجسم قابل
للقسمة والروح لا ينقسم لانه لو انقسم لجاز ان يقوم بجزء
منه علم بالشئ وبجزء آخر جهل بذلك الشئ بعينه فيكون
فى حالة واحدة عالما بالشئ جاهلا به فتناقض العلم والجهل
بشئ واحد فى حق شخص واحد محال وفى شخصين غير محال
فدل انه واحد لا ينقسم وهو باتفاق العقلاء جزء لا يتجزى
اى شئ لا ينقسم اذ لفظ الجزء غير لايق به لان الجزء اضافة
الى الكل ولا كل ههنا ولا جزء الا ان يراد به ما يريد القايل بقوله
الواحد جزء من العشرة فاذا اخذت جميع الموجودات او ما
قوام الانسان فى كونه انسانا كان الروح واحدا من جملتها
فاذا فهمنا انه شئ لا ينقسم فلا يخلو اما ان يكون متحيزا

او غير متحيز وباطل ان يكون متحيزا اذ كل متحيز منقسم
والجزء المتحيز الذي لا يتجزا باطل بادلة هندسية وبادلة عقلية
اقربها انه لو فرض جوهر بين جوهرين لكان كل واحد من
الطرفين يلاقي من الوسط غير ما يلاقي الاخر فيجوز ان يقوم
بالوجه الذي يلقاه هذا الطرف علم وبالوجه الاخر جهل
فيكون عالما جاهلا في حالة واحدة بشيء واحد وكذلك
نقطة الدايرة لو مد خطوط عدة من الدايرة الى صوب النقطة
تقع الكل في النقط لا محالة ويكون كل جزء من اجزاء الدايرة
ملاقيا للنقطة حتى يدور عليها ومهما كانت اجزاء الدايرة
ملاقية للنقطة كانت النقطة ملاقية لاجزاء الدايرة لا محالة
فثبت ان الجزء الذي لا يتجزى باطل وكيف لا ولو فرض بسيط
مسطح من اجزاء لا يتجزى لكان الوجه الذي يحاذينا ونراه
غير الوجه الذي لا نراه فان الواحد لا يكون مرئيا وغير مرئي
في حالة واحدة ولكان الشمس اذا جازت احد وجهيه
استنار بها والوجه الاخر مظلم فدل ان ذلك الوجه دون

الوجه

الوجه الاخر فاذا ثبت انه لا ينقسم وانه لا يتحيز ثبت انه
قايم بنفسه وغير متحيز اصلا فقيل فما حقيقة هذه الحقيقة
وما صفة هذا الجوهر وما وجه تعلقه بالبدن اهو داخل فيه
او خارج عنه ومتصل به او منفصل عنه فقال رضي الله عنه
لا هو داخل ولا خارج ولا هو متصل ولا هو منفصل لان
مصحح الاتصاف بالاتصال والانفصال الجسمية والتحيز وقد
انتفى عنه وانفك عن الضدين كما ان الجماد لا هو عالم ولا هو
جاهل لان مصحح العلم والجهل الحيوة فاذا انتفت انتفى الضدان
وقيل له فهل هو في الجهة ام لا فقال هو منزه عن الحلول في
المحال والاتصال بالاجسام والاختصاص بالجهات فان كل ذلك
صفات الاجسام واعراضها التي هو عرض في الجسم وهو ليس بجسم
ولا عرض في جسم بل هو مقدس عن هذه العوارض فقيل له
لم منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من افشاء هذا السر وكشف
الحقيقة فيه فقال قل الروح من امر ربي قال رضي الله عنه لان الافهام
لا يحتمله اذ الناس قسمان عوام وخاص اما من غلبت على طبعه

العامية فهذا لا يقبله ولا يصدق به في صفة الله تعالى فكيف
يصدق به في حق الروح الانساني ولهذا انكرت الكرامية والذين
ومن كانت العامية اغلب عليه ذلك وجعل الاله جسما
اذ لا يعقل موجود الا متجسما مشارا اليه ومن ترقى عن العامية
تلك الا نفي الجسمية وما اطاقوا بنفي عوارض الجسمية فاثبتوا
الجهة ونرقى عن هذه العامية الاشعرية والمعتزلة فاثبتوا موجودا
لا في جهة **فقيل له** فلم لا يجوز كشف هذا السر مع هؤلاء فقال
لانهم احالوا ان يكون هذه الصفة لغير الله فاذا ذكرت هذا
معهم كفروك وقالوا انك تصف نفسك بما هو من صفات الاله
على الخصوص فكانك تدعي الالهية لنفسك **فقيل له** فلم احالوا
ان يكون هذه الصفة لله ولغير الله ايضا فقال لانهم قالوا كما
يستحيل في ذوات المكان ان تجتمع اثنان في مكان واحد يستحيل
ان تجتمع ايضا في لا مكان اثنان لانه انما استحال اجتماع
جسمين في مكان واحد لانه لو اجتمعا لم يتميز احدهما عن الاخر
فكذلك ايضا لو وجد اثنان كل واحد منهما ليس في مكان

فلم

فلم تحصل التمييز والعرفان ولهذا قالوا لا يجتمع سوادان في
محل واحد حتى قيل المثلان يتضادان **فقيل له** فهذا اشكال
قوي فما جوابه فقال جوابه انهم اخطؤا حيث ظنوا ان التمييز
لا تحصل الا بالمكان بل تحصل التمييز بثلثة امور احدها بالمكان
كجسمين في مكانين والثاني بالزمان كسوادين في جوهر واحد
في زمانين والثالث بالحد والحقيقة كالاعراض المختلفة في محل
واحد مثل اللون والطعم والبرودة والرطوبة في جسم واحد
فان المحل لها واحد والزمان واحد ولكن هذه معاني مختلفة الذوات
بحدودها وحقايقها فتميز الطعم عن اللون بذاته لا بمكان وزمان
وتميز العلم عن الارادة والقدرة بذاته وان كان الجميع كشيء
واحد فاذا كما نتصور اعراض احدهما عن اخر مختلفة الحقايق
في محل واحد فبان يتصور اشياء مختلفة الحقايق بذاتها في غير
مكان اولى **فقيل له** هاهنا دليل اخر على الحالة مما ذكرتموه
اظهر من طلب التفرقة وهو ان هذا تشبيه واثبات لاخص وصف
الله تعالى في حق الروح فقال هيهات فان قولنا الانسان حي

عالم سميع بصير قادر متكلم والله تعالى كذلك وليس فيه
تشبيه لانه ليس ذلك اخص وصف الاله فكذلك البراءة عن المكان
والجهة ليس اخص وصف بل اخص وصفه انه قيوم اي هو
قايم بذاته وكان ماسواه قايما به وانه موجود بذاته لا بغيره
وكل ماسواه موجود به لا بذاته بل للاشياء من ذواتها الا العدم
وانما لها الوجود من غيرها على سبيل العارية والوجود لله تعالى
ذاتي ليس بمستعار وهذه الحقيقة اعني القيومية ليست الا لله
تعالى **فقيل له** فقد ذكرت معنى التسوية والنفخ والروح
ولم تذكر معنى النسبة في الروح وانه لم قال من روحي ولم نسبه
الى نفسه فان كان لان وجوده به فجميع الاشياء ايضا كذلك
وقد نسب البشر الى الطين فقال اني خالق بشرا من طين ثم قال فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي وان كان معناه انه جزء من الله تعالى
فاض على القالب كما يفيض المعطي المال على السايل فيقول افضت عليه
من مالي فهذه الجزئية لذات الله سبحانه وتعالى وقد ابطلتم هذا
وذكرتم ان افاضته ليس بمعنى انفصال جزء فقال رضي الله عنه

هذا القول لو نطقت به الشمس وقالت افضت على الارض من نوري
فيكون صدقا ويكون معنى النسبة ان النور الحاصل من جنس نور
الشمس بوجه من الوجوه وان كان في غاية الضعف بالاضافة
اليه وقد عرفت ان الروح منزه عن الجهة والمكان وفي قوته العلم بجميع
الاشياء والاطلاع عليها هذه مضاهاة ومناسبة فلذلك خص
بالاضافة وهذه المضاهات ليست للجسمانيات اصلا **فقيل له**
فما معنى قوله قل الروح من امر ربي وما معنى عالم الامر وعالم
الخلق فقال رضي الله عنه كل ما يقع عليه مساحة وتقدير
وهي الاجسام وعوارضها يقال انه من عالم الخلق والخلق هٰهنا
بمعنى التقدير لا بمعنى الايجاد والاحداث يقال خلق الشيء اي
قدره قال الشاعر **ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم
يخلق ثم لا يفري** اي يقدر الاديم ثم يقطعه وما لا كمية له
ولا تقدير يقال انه امر رباني وذلك للمضاهاة التي ذكرناه
وكل ما كان من هذا الجنس من ارواح البشر وارواح الملائكة
يقال انه من عالم الامر وعالم الامر عبارة عن الموجودات الخارجة

عن الحس والخيال والجهة والمكان والتحيز وهي مما لا يدخل
تحت المساحة والتقدير لانتفاء الكمية عنها **فقيل له**
هذا يوهم ان الروح ليس مخلوقا وان لم يكن مخلوقا فهو قديم
فقال قد توهم ذلك جماعة وهو جهل بل نقول الروح غير
مخلوق على معنى انه غير مقدر بكمية فانه لا ينقسم ولا يتحيز
لكنه مخلوق بمعنى انه حادث وليس بقديم وبرهان حدوثه
طويل ومقدماته كثيرة ولكن الحق ان الارواح البشرية تحدث
عند استعداد النطفة للقبول كما حدثت الصورة في المرآة لحدوث
الصقالة وان كانت الصورة سابقة الوجود على الصقالة وايجاز
هذا البرهان ان الارواح لو كانت موجودة قبل الابدان لكانت اما
كثيرة واما واحدة وباطل وحدتها وكثرتها فباطل وجودها
وانما استحال وحدتها بعد التعلق بالابدان لعلمنا ضرورة
ان ما يعلمه زيد يجوز ان يجهله عمرو ولو كان الجوهر العاقل منهما
واحدا لاستحال اجتماع الضدين فيه كما يستحيل في زيد وحده
ونعني بالجوهر العاقل الروح ومحال كثرتها لان الواحد انما لا يستحيل

ان يتثنى وان ينقسم اذا كان ذا مقدار كالاجسام فالاجسام
ينقسم فانه ذو مقدار فله بعض فيتبعض اما ما لا بعض له
ولا مقدار فكيف ينقسم اما تقدير كثرتها قبل التعلق بالبدن
محال لانها اما ان تكون متماثلة واما مختلفة وكل ذلك
محال وانما استحال التماثل لان وجود المثلين محال في الاصل
ولهذا يستحيل وجود السوادين في محل وجسمين في مكان لان الاثنينية
تستدعي مغايرة ولا مغايرة ههنا وسوادان في محلين جايز
لان هذا يفارق ذلك في المحل اذ يختص احدهما بمحل لا يختص
به الآخر وكذلك جايز في محل واحد في زمانين اذ لهذا وصف
ليس للآخر وهو الاقتران بهذا الزمان الخاص فليس في الوجود مثلان
مثلا ان مطلقا بل بالاضافة كقولنا زيد وعمرو مثلان في الانسانية
والجسمية وسواد الحبر والغراب مثلان في السوادية ومحال تغايرها
لان التغاير نوعان احدهما باختلاف النوع والماهية كتغاير الماء والنار
وتغاير السواد والعلم والثاني بالعوارض التي لا تدخل في الماهية
كتغاير الماء الحار والماء البارد فان كان تغاير الارواح البشرية

بالنوع والماهية فمحال الان الارواح البشرية متفقة بالحد
والحقيقة وهي نوع واحد وان كانت متغايرة بالعوارض فمحال
لان الحقيقة الواحدة انما يتغاير عوارضها اذا كانت متعلقة
بالاجسام منسوبة بنوع اذ الاختلافات في اجزاء الجسم ضرورة
ولو في القرب من السماء والبعد منها مثلا اما اذا لم يكن كذلك
كان الاختلاف محالا وهذا ربما يحتاج تحقيقه الى مزيد تقرير لكن
هذا القدر تنبيه عليه **فقيل له** فكيف يكون حال الارواح مفارقة
الاجساد ولا تعلق لها بالاجسام فكيف تكثرت وتغايرت فقال
رضي الله عنه لانها اكتسبت بعد التعلق بالابدان اوصافا مختلفة
من العلم والجهل والصفاء والكدورة وحسن الاخلاق وقبحها
فبقيت منها متغايرة فعقل كثرتها بخلاف ما قبل الاجساد فانه
لا سبب لتغايرها **فقيل له** فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله
خلق ادم على صورته وروي على صورة الرحمن فقال الصورة اسم مشترك
قد يطلق على ترتيب الاشكال ووضع بعضها من بعض واختلاف
تركيبها وهي الصورة المحسوسة وقد يطلق على ترتيب المعاني التي ليست

محسوسة

محسوسة وللمعاني ترتيب ايضا وتركيب وتناسب ويسمى ذلك
صورة فيقال صورة المسئلة كذا وصورة الواقعة كذا وصورة
العلوم الحسابية والعقلية كذا فالمراد بالصورة في هذه الصورة
هذه الصورة المعنوية والاشارة به الى المضاهاة التي ذكرناها
ويرجع ذلك الى الذات والصفات والافعال وحقيقة ذات الروح
انه قائم بنفسه ليس بعرض ولا جسم ولا هو متحيز ولا يحل المكان
والجهة ولا هو متصل بالبدن والعالم ولا منفصل عنه ولا هو داخل
في اجسام العالم والبدن ولا خارج وهذا كله صفات ذات الله
واما الصفات فقد خلق حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا
متكلما والله تعالى كذلك واما الافعال فمبدأ فعل الادمي
ارادة يظهر اثرها في القلب فيسري منه اثر بواسطة الروح الحيواني
الذي هو بخار لطيف في تجويف القلب يتصاعد الى الدماغ ثم يسري
منه اثر الى الاعصاب الخارجة من الدماغ ومن الاعصاب الى الاوتار
والرباطات المتعلقة بالعضلة فتنجذب الاوتار فيتحرك به الاصبع
فيتحرك بالاصابع القلم وبالقلم المداد مثلا فتحدث منه

صورة ما يريد كتبته على وجه القرطاس على الوجه المتصور
في خزانة التخيل فانه ما لم يتصور في خياله صورة المكتوب
اولاً لا يمكن احداثه على البياض ثانيا ومن استقراء افعال الله
تع وكيفية احداثه النباتات والحيوانات على الارض بواسطة تحريك
السموات والكواكب وذلك بطاعة الملائكة في تحريك السموات
علم ان تصرف الادمي في عالمه اعني بدنه يشبه تصرف الخالق في العالم
الاكبر وهو مثله وانكشف له ان نسبة شكل القلب الى تصرفه نسبة
العرش ونسبة الدماغ نسبة الكرسي والحواس له كالملائكة الذين
يطيعون طبعاً ولا يستطيعون خلافاً والاعصاب كالسموات
والقدرة في الاصبع كالطبيعة المسخرة المركوزة في الاجساد والمداد
كالعناصر التي هي امهات المركبات في قبول الجمع والتركيب والتفرقة
ومرآة التخيل كاللوح المحفوظ فمهما اطلع بالحقيقة على هذه
الموازنة عرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على
صورته ومعرفة ترتيب افعال الله تعالى معرفة غامضة تحتاج
فيها الى تحصيل علوم كثيرة وما ذكرناه اشارة الى جملته **فصل**

فقيل

فقيل له ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه
فقد عرف ربه فقال رضي الله عنه لان الاشياء تعرف بالامثلة
المناسبة ولولا المضاهاة المذكورة لم يقدر الانسان على الترقي
من معرفة نفسه الى معرفة ربه فلولا ان الله تعالى جمع في الادمي ما هو
مثال جملة العالم حتى كانه نسخة مختصرة من العالم وكانه رب
في عالمه متصرف لما عرف العالم والتصرف والربوبية والفعل والعلم
والقدرة وساير الصفات الالهية فصارت النفس بمضاهاتها وموازنتها
مرقاة الى معرفة خالق النفس في استكمال المعرفة بالمسئلة التي قبل
هذه ما يكشف عن وجه هذه المسئلة **فقيل له** ان كانت الارواح
حادثة مع الاجساد فما معنى قوله عليه السلام ان الله خلق الارواح
قبل الاجساد بالفي عام وقوله عليه السلام انا اول الانبياء خلقاً
واخرهم بعثاً وكنت نبياً وادم بين الماء والطين فقال رضي الله
عنه شيء من هذا لا يدل على قدم الروح بل يدل على حدوثه وكونه
مخلوقاً نعم ربما يدل بظاهره على تقدم وجوده على الجسد
وامر الظواهر هين فان تاويلها ممكن والبرهان القاطع لا يدرى

بالظاهر بل يسلط على تاويل الظواهر كما في ظواهر التشبيه في قوله
تعالى اما قوله خلق الله الارواح قبل الاجساد اراد بالارواح
ارواح الملائكة وبالاجساد اجساد العالم من العرش والكرسي
والسموات والكواكب والهواء والماء والارض وكما ان اجساد
الادميين بجملتهم صغيرة بالاضافة الى جرم الارض وجرم
الارض اصغر من الشمس كثيرا لا نسبة لجرم الشمس الى فلكه ولا لفلكه
الى السموات التي فوقه ثم كل ذلك اتسع له الكرسي اذ وسع
كرسيه السموات والارض والكرسي صغير بالاضافة الى العرش
فاذا تفكرت في جميع ذلك استحقرت اجساد الادميين ولا تفهمها
من مطلق لفظ الاجساد وكذلك فاعلم وتحقق ان الارواح
البشرية بالاضافة الى ارواح الملائكة كاجسادهم بالاضافة الى
اجساد العالم ولو انفتح لك باب معرفة الملائكة لرايت الارواح
البشرية كسراج اقتبست من نار عظيمة طبقت العالم وتلك
النار العظيمة هي الروح الاخير من ارواح الملائكة وللارواح الملائكة
ترتيب وكل واحد منفرد برتبته ولا يجتمع في رتبة واحدة

اثنان بخلاف الارواح البشرية المتكثرة مع اتحاد النوع
والرتبة اما الملائكة فكل واحد نوع براسه هو كل ذلك النوع
واليه الاشارة بقوله تعالى وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون
وبقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الراكع منهم لا يسجد
والقايم لا يركع وانه ما من واحد الا وله مقام معلوم
ولا تفهمن اذا من الارواح والاجساد المطلقة الا ارواح
الملائكة واجساد العالم واما قوله عليه السلام انا اول الانبياء
خلقا واخرهم بعثا فالخلق ههنا هو التقدير دون الايجاد
فانه قبل ان ولدته امه لم يكن موجودا مخلوقا ولكن الغايات
والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود وهو معنى قولهم
اول الفكرة اخر العمل بيانه ان المهندس المقدر للدار اول ما يتمثل
صورتها في تقديره وهي دار كاملة واخر ما يوجد من اعماله
الدار الكاملة فالدار الكاملة هي اول الاشياء في حقه تقديرا واخرها
وجودا لان ما قبلها من ضرب اللبن وبناء الحيطان وتركيب
الجذوع وسيلة الى غاية وكمال وهي الدار فالغاية هي الدار

ولاجلها تقدم الآلات والاعمال فاذا عرفت هذا فاعلم ان مقصود
فطرة الآدميين اذ كيهم لسعادة القرب من الحضرة الالهية
ولا يمكن الا بتعريف الانبياء فكانت النبوة مقصودة بالايجاد
والمقصود كمالها وغايتها لا اولها وانما يكمل بحسب سنة الله تعالى
بالتدريج كما يكمل عمارة الدار بالتدريج فتمهد اصل النبوة
بآدم عليه السلام ولم يزل ينمى ويكمل حتى بلغ الكمال محمد صلى الله
عليه وسلم وكان المقصود كمال النبوة وغايتها وتمهيد اوايلها
وسيلة اليها كتأسيس البناء وتمهيد اصول الحيطان فانه وسيلة
الى كمال صورة الدار ولهذا السر كان خاتم النبيين فان الزيادة
على الكمال نقصان واكمل شكل الآلة الباطشة كف عليه خمس اصابع
فكما ان ذا الاصبع الاربع ناقص فذو الاصابع الستة ناقص لان
السادسة زيادة على الكفاية فهي نقصان في الحقيقة وان كانت
زيادة في الصورة واليه الاشارة بقوله عليه السلام مثل النبوة
مثل دار معمورة لم يبق فيها الا موضع لبنة فكنت انا تلك
اللبنة او لفظ هذا معناه فاذا عرفت انه يكون خاتم النبيين

ضرورة

ضرورة لا يتصور خلافه اذ بلغ الغاية والكمال والغاية اول
في التقدير آخر في الوجود وانما قوله عليه السلام كنت نبيا وادم
بين الماء والطين اشارة الى ما ذكرناه فانه كان في التقدير قبل تمام
خلقة آدم لانه لم ينشأ خلق آدم الا لينتزع الصافي من ذريته
ولا يزال يصطفى تدريجا الى ان بلغ الكمال كمال الصفاء فقبل الروح
القدسي المحمدي صلى الله عليه وسلم ولا يفهم هذا الا بان يفهم
للدار مثلا وجودان وجود في ذهن المهندس ودماغه حتى
كانه ينظر الى صورة الدار ووجود خارج الذهن في الاعيان
والوجود الذهني سبب للوجود الخارج العيني وهو سابق لا محالة
فكذلك فاعلم ان الله تعالى يقدر اولا ثم يوجد على وفق التقدير
ثانيا وانما التقدير يرتسم في اللوح المحفوظ كما يرتسم تقدير المهندس
اولا في لوح او قرطاس فتصير الدار موجودة بكمال صورتها
نوعا من الوجود يكون هو سببا للوجود الحقيقي وكما ان هذه
الصورة ترتسم في لوح المهندس بواسطة القلم والقلم يجري على
وفق العلم بل العلم يجريه فكذلك تقدير صورة الامور الالهية

ترتسم اولا في اللوح المحفوظ وانما ينتقش اللوح من القلم والقلم
يجري على وفق العلم بالقلم واللوح عبارة عن موجود قابل النقش
الصورة والقلم عبارة عن موجود منه تفيض الصور على اللوح
المنتقش فان حد القلم هو الناقش لصور المعلومات وحد اللوح
هو المنتقش بتلك الصور وليس من شرطه ان يكون جسما فالجسمية
لا تدخل في حد القلمية وحقيقتها بل روح القلمية واللوحية
ما ذكرناه والزايد عليه صورة لا معناه ولا يبعد ان يكون قلم الله
تع ولوحه لا يقاس باصبعه ويده وكل ذلك على ما يليق بذاته
والهيته فيتقدس عن حقيقة الجسمية بل جملتها جواهر روحانية
عالية بعضها كاللوح وبعضها معلمة كالقلم فان الله تعالى علم بالقلم
فاذا فهمت نوعي الوجود فقد كان نبيا قبل ادم بمعنى الوجود
وجود الاولى التقديري دون الوجود الثاني الحسي العيني والسلام
تم الكلام في الروح ومعناه قال حجة الاسلام قدس الله روحه
العزيز ونور ضريحه في قول النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم
من مات فقد قامت قيامته ليس المعنى ما هو المراد بالقيمة

المطلقة بل هي قيامة خاصة ذكرت تفصيلها في اول كتاب الصبر
من الاحيا والقيامة المطلقة ما يعم الكافة وذلك له ميعاد عند
الله تع مخفي عن الخلق لسر من الاسرار الله اعلم به والاوقات وان
كانت متشابهة لكن يجوز في العقل اختصاص بعض المواقيت ببعض
انواع الوجود اما على مذهب المتكلمين فيحال ذلك على المشية
كما يحال حدث العالم في بعض الاوقات على المشية مع ان الاوقات
متشابهة بالاضافة الى القدرة والى ذات القديم واما مذهب الفلاسفة
فلا يلزم استحالته ايضا فانهم يتفقون على ان مبادي الحوادث
حركات الفلك وان ادوارها مختلفة فلذلك تختلف احكام
القرانات واحوال السفليات وليس من ضرورة كل دورة ان يفرض
عود مثلها او سبق مثلها فذلك خيال ضعيف على مذهبهم
بل يجوز ان يحدث دور وشكل لم يسبق له نظير ولا يلحقه نظير
ولذلك قد يحدث في بعض الادوار حيوانات غريبة الشكل لم يعهد
مثلها ولا يبعد ان يكون الادوار متناسبة والاشكال الحاصلة
من ترتيبها مختلفة فاذا فرضنا القاء حجر في الماء فيحدث

منه في الماء شكل مستدير فلو القينا مثله عقيبه قبل انقطاع
حركته الاولى لم يلزم ان يكون شكل الماء بعد الحركة الثانية كحركته
الاولى لان الحجر الاول صادف الماء ساكنا والثاني صادف الماء متحركا
فكان تشكيله للمتحرك خلاف تشكيله الساكن فيختلف الاشكال
مع تساوي الاسباب لامتزاج اثر السابق باللاحق فعلى هذا لا يستحيل
ان يكون في التقدير الازلي للادوار دور مخالف للدور المعهود
يقتضي نظام الوجود والابداع على خلاف النمط المعهود ولا يستحيل
ان يكون ذلك بديعا لم يسبق له نظير ولا ان يكون حكمه باقيا
لا يلحقه مثل الدور السابق المنسوخ فيبقى النمط الحاصل من الابداع
مستمرا في جنسه وان كان يتبدل احاد احواله فيكون ميعاد
القيامة حصول ذلك الشكل الغريب في الاسباب العالية ويكون ذلك
سببا كليا جامعا لجميع الارواح فيعم حكمها كافة الارواح
فيكون قيامة عامة مخصوصة بوقتها لا تتسع القوة البشرية لمعرفتها اعني
لمعرفة وقتها ولا من الانبياء فان الانبياء ايضا يكشف لهم ما يكشف
على قدر احتمالهم وقبولهم فاذا لم يقم برهان كلامي ولا فلسفي

على

على استحالته وجب التصديق اذا ورد الشرع به تصريحا لا يتطرق
اليه احتمال وقد صرح به الشرع تصريحا فهم ذلك منه على الضرورة
فوجب الايمان به **مسئلة** انكار المنكر لاعادة النفس الى الجسد
في القبر ثم التفريق بينهما ثم اعادتهما في القيامة مصيرا الى ان قوام
روح بلا بدن غير معقول انكار باطل فان قيام النفس دون البدن
ليس بمشكل بل المشكل تعلقه بالبدن وانه كيف تعلق وهو ليس
بحال فيه حلول الاعراض في الجواهر فانه ليس بعرض بل هو جوهر قايم
بنفسه يعرف ذاته ويعرف خالقه وصفات خالقه وهو في هذه
المعرفة لا يحتاج الى شيء من الحواس اذ ليس شيء من هذه المعارف
محسوسا والانسان في حالة ملابسة البدن قادر على ان يقدر نفسه
غافلا عن المحسوسات كلها وعن السماء والارض وساير الاجسام ويكون
في تلك الحالة عارفا بذاته وبحدوث ذاته وبافتقاره الى محدث
ذاته ولا يشعر بشيء من محسوساته فذاته معقولة على هذا الوجه
والتجرد لذكر الله تع على الدوام في بداية طريق التصوف يفضي
بالمتصوفة الى هذه الحالة حتى انه يعزب عن ذاته كل ما سوى الله

تعالى فيعرف نفسه فلا يحضر في شعوره شيء من المحسوسات والمعقولات
سوى الحق تعالى ولا يشعر بنفسه ولا بعدم شعوره بنفسه
ولا يشعر بشعوره بالحق بل يكون شاعرا بالحق فقط فان الشعور
بالشعور بالحق غفلة عن الحق فالمعنى المتجرد لمعرفة الحق كيف تحتاج
الى بدن وقالب وكيف لا يستغني بذاته عن الجسد الذي هو مركب
الحواس ولا يراد الا المحسوسات فمن عقل حقيقة النفس وعلم قوامه بذاته
لم تشكل عليه انفصاله عن الجسد وربما اشكل عليه اتصاله به الى ان
يعرف انه لا معنى له سوى تاثر الجسد به وتصرفه فيه تحت تصريفه
وتحركه بتحريكه كما يعلم تحرك الاصبع بتصريف الارادة مع قطعه
بان الارادة ليست في الاصبع لكن الاصبع مسخرة لما ليس فيها
فالنفس وان لم تكن في الجسد فالجسد مسخر لها فهذا التسخير يجوز
ان يحدث ويزول ويعود ولا يستحيل في العقل شيء منه ويكون
لعوده وزواله اسباب ملكية وفلكية ونفسية لا يحيط بها القوة
البشرية فعلى هذا يجب التصديق بما جاء فيه من التفريق والاعادة
مسئلة الايمان بالميزان واجب لانه اذا ثبت قيام النفس بجوهرها

عن

عن الجسد فهي بذاتها مهياة لان ينكشف لها حقايق وتعلقها
بالجسد كالحجاب لها عن درك حقايق الامور وبعد الموت
ينكشف الغطاء ويتجلى حقايق الامور ولذلك يقال لهم فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ومما ينكشف تاثير اعماله
في تقريبه من الله تع وابعاده ومقادير تلك الاثار وان بعضها
اشد تاثيرا من البعض وفي قدرة الله تع ان تجري شيا يعرف الخلق
في لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة الى تاثيرها في التقريب
والابعاد فحد الميزان ما يتميز به الزيادة عن النقصان ومثاله في العالم
المحسوس مختلف فمنه الميزان المعروف والقبان للاثقال ومنه
الاصطرلاب لحركات الفلك والاوقات والمسطرة لمقادير
الخطوط والعروض لمقادير الاصوات فالميزان الحقيقي اذا مثله
الله للحواس مثله بما شاء من هذه الامثلة او غيرها وحقيقة الميزان
وحده موجود في جميع ذلك وهو ما يعرف الزيادة والنقصان
وصورته تكون موجودة للحس عند التشكيل وللخيال عند
التمثيل والله اعلم بما يقدره من تشكيل حقيقي او تمثيل

خيالي فالقدرة واسعة والتصديق بجميع ذلك واجب

فصل الحساب يجب التصديق به لان الحساب عبارة عن جمع
متفرقات المقادير وتعريف مبلغها وما من انسان الا وله اعمال
متفرقة ضارة ونافعة ومقربة ومبعدة لا يعرف قدرها كلها
وقد لا يحصره احاد متفرقاتها فاذا احضرت المتفرقات وجمع
مبلغها كان حسابا وان كان في قدرة الله ان يكشف في لحظة
واحدة للعالمين متفرقات اعمالهم ومبلغ اثارها فهو اسرع الحاسبين
قطعا ومعلوم ان في قدرته ذلك وهو اسرع الحاسبين

مسئلة الايمان بالشفاعة واجب لانها عبارة عن نور يشرق من الحضرة الالهية
على جوهر النبوة وينتشر منه الى كل جوهر استحكمت مناسبته
مع جوهر النبوة بشدة المحبة وكثرة المواظبة على السنن وكثرة
الذكر له بالصلوة عليه صلى الله عليه وسلم ومثاله نور الشمس اذا
وقع على الماء فانه ينعكس منه الى موضع مخصوص من الحائط
لا الى جميع المواضع وانما يختص ذلك الموضع لمناسبة بينه وبين
الماء في الموضع الذي اذا اخرج منه خط الى موقع النور من الماء

حصلت

حصلت منه زاوية يلي الارض مساوية للزاوية الحاصلة
من الخط الخارج من الماء الى قرص الشمس بحيث لا يكون اوسع
منها ولا اضيق وهذا لا يمكن الا في موضع مخصوص من الجدار
فكما ان المناسبة الوضعية تقتضي الاختصاص بانعكاس النور
فالمناسبة المعنوية العقلية ايضا تقتضي ذلك في الجواهر المعنوية
ومن استولى عليه التوحيد فقد تأكدت مناسبته مع الحضرة الالهية
ويشرق عليه النور من غير واسطة ومن يستولي التسنن والاقتدا
برسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبة اتباعه ولم يترسخ قدمه
في ملاحظة الوحدانية لم يستحكم مناسبته الا مع الواسطة
فافتقر الى واسطة في اقتباس النور كما يفتقر الحائط الذي ليس
مكشوفا للشمس الى واسطة الماء المكشوف للشمس والى مثل هذا
يرجع حقيقة الشفاعة في الدنيا فالوزير المتمكن في قلب الملك المخصوص
بالعناية يعفي الملك عن جريمة اصحابه ويعفو عنهم لا لمناسبة
بين الملك واصحاب الوزير لكن لانهم يناسبون الوزير المناسب للملك
المناسب للملك ففاضت العناية عليهم بواسطة الوزير لا بانفسهم

ولو ارتفعت الواسطة لم تشملهم العناية اصلا لان الملك
لا يعرف اصحاب الوزير واختصاصهم به الا بتعريف الوزير واظهار
الرغبة في العفو عليهم فيسمى لفظه في التعريف اظهار الرغبة
شفاعة عن سبب المجاز وانما الشفيع مكانته عند الملك وانما
اللفظ لاظهار الغرض والله سبحانه مستغن عن التعريف ولو عرف
الملك حقيقة اختصاص غلام الوزير به لا يستغني عن التعريف وحصل
العفو بشفاعة لا نطق فيها ولا كلام والله تعالى عالم به ولو اذن
للانبياء عليهم السلام في التلفظ بما هو معلوم لله تعالى لكانت الفاظهم
الفاظ الشفعاء واذا اراد الله ان يمثل للشفاعة حقيقة بمثال
يدخل في الحس والخيال لم يكن ذلك التمثيل الا بالالفاظ المألوفة
في الشفاعة ويدلك على انعكاس النور بطريق المناسبة ان جميع
ما ورد من الاخبار عن استحقاق للشفاعة معلق بما يتعلق
بالرسول صلى الله عليه وسلم من الصلوة عليه او زيارة لقبره او جواب
المؤذن والدعاء له عقيبه وغير ذلك مما يحكم علاقة المحبة له
والمناسبة معه **مسئلة** الصراط حق وما يقال انه مثل الشعر

في الدقة فهو ظالم في وصفه بل هو ادق من الشعر بل لا مناسبة
بين دقته وبين الشعر كما لا مناسبة بين الخط الهندسي الفاصل
بين الظل والشمس الذي ليس من الظل ولا من الشمس وبين الشعر
ودقة الصراط مثل دقة الخط الهندسي الذي لا عرض له اصلا لانه
على مثال الصراط المستقيم وهو في الدقة مثل الخط الهندسي والصراط
المستقيم عبارة عن الوسط الحقيقي بين الاخلاق المتضادة كالسخاء بين
التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن والاقتصاد بين الاسراف
والاقتار والتواضع بين الكبر والخساسة والعفة بين الشهوة والجمود
اذ الاخلاق المتضادة لها طرفا افراط وتفريط وهما مذمومان
وبين الافراط والتفريط وسط وهو غاية البعد بين الطرفين وهو
المركز كانه ليس من طرف الزيادة ولا من النقصان كالخط الهندسي الفاصل
بين الظل والشمس ليس من الظل ولا من الشمس وهذا التحقيق وهو
ان كمال الادمي في مشابهة الملائكة وهم منفكون عن هذه الاوصاف
المتضادة وليس في امكان الانسان الانفكاك عنها بالكلية فكلف ما يشبه
الانفكاك وان لم يكن حقيقة الانفكاك وهو الوسط فان الفاز كانه

لا حاد ولا بارد والعودي كانه لا اسود ولا ابيض فالبخل والتبذير
من صفات الانسان المفصد السخي كانه لا بخيل ولا مبذر فالصراط
المستقيم هو الوسط الحق بين الطرفين الذي لا ميل له الى احد
الجانبين وهو ادق من الشعر فالذي يطلب غاية البعد من الطرفين
يكون على الوسط ولو فرضنا حلقة حديد محماة بالنار ووقعت
نملة فيها وهي تهرب بطبعها من الحرارة فلا يموت الا على المركز لانه الوسط
الذي هو غاية البعد من المحيط المحرق فتلك النقطة لا عرض لها
فاذا الصراط المستقيم هو الوسط بين الطرفين ولا عرض له فهو ادق
من الشعر ولذلك خرج عن القدرة البشرية الوقوف عليه فوجب على
كل شخص ان يكون واردا ورودا اما بقدر ميله كما قال سبحانه وتعالى
وان منكم الا واردها وكذلك قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء الاية فان العدل بين المرأتين في المحبة والوقوف على درجة
متوسطة لا ميل فيها الى احديهما كيف يدخل تحت الامكان فاذا
فهمت هذا فاذا مثل الله تعالى العبادة هذا الصراط المستقيم الذي
يطالب كل امرء بالاستقامة عليه بمثال ما هو مثل الخط الهندسي

الذي لا عرض له فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم مر
مستويا على ذلك الصراط ولم يمل احد الجانبين لانه في هذا العالم
عود نفسه التحفظ عن الميل فصار ذلك وصفا طبعيا له فان
العادة طبيعة خامسة فمر على الصراط المستقيم مستويا فهذا حق
قطعا كما ورد به الشرع **مسئلة** اللذات المحسوسة الموعودة في
الجنة من مأكول ومشروب ومنكوح وملبوس ومشموم
يجب التصديق بها لامكانها ولنعتقد امكانها على ثلثة اوجه
حسي وعقلي وخيالي اما الحسي فلا يخفى معناه وامكانه
كامكانه في هذا العالم فانه بعد رد الروح الى الجسد وقيام
البرهان على امكانه يجعل جميع ذلك في حيز الامكان ولا يمنع
في هذا ان بعض هذه اللذات ليست مستطعمة ولا مرغوبا فيها
رغبة بالغة كالاسبرق واللبن والطلح المنضود فان هذا قد
خوطب به قوم تشتد رغبتهم فيه وفي الجنة ما يشتهيه كل واحد
وهذا ما يشتهيه قوم شهوة شديدة والذين لا يشتهون ولا
يستلذون لعظم لذتهم خلق الشهوة فيهم فان اللذة بحسب الشهوة

فليس الوقاع مما يوجب صورة اللذة بل النظر الى صدق الشهوة
والله سبحانه وتعالى خلق الشهوة واللذات بحسب الشهوة والناس
كلهم الا من شاء الله لا يصدق في بواطنهم بلذة النظر الى وجه الله
تعالى وان اقروا بظاهر الا انهم اذا انفكوا عن المعرفة انفكوا عن الشوق
وعن ادراك اللذة ولكن الله تعالى يقوى شهوتهم ومحبتهم ومعرفتهم
ومحبتهم حتى يعظم لذة الرؤية عندهم في الدار الاخرة واما الخيالى
فلا يخفى امكانه ولذته كما في النوم الا ان النوم مستحقر لانقطاعه
على قرب فلو كانت اللذة دائمة لم يظهر فرق بين الحسى والخيالى لان
التذاذ الانسان بالصور من حيث انطباعها في الخيال والحس لا من
حيث وجودها من خارج فاذا لم يوجد في حسه بالانطباع
فلا لذة ولو بقى المنطبع في الحس وعدم الخارج لدامت اللذة
وللقوة المتخيلة قدرة على اختراع الصور في هذا العالم الا ان
صورها المخترعة متخيلة وليست محسوسة ولا منطبعة
في القوة الباصرة فلذلك لو اخترع الصور الجميلة في غاية
الجمال وتوهم حضورها ومشاهدتها لم يعظم لذته لانه

ليس

ليس يصير مبصرا كما في النوم فلو كانت للخيال قوة على تصورها
في الباصرة كماله قوة على تصورها في القوة المتخيلة لعظمت لذته
ونزلت منزلة الصورة الموجودة من خارج ولن يفارق الاخرة
الدنيا في هذا المعنى الا من حيث كمال القدرة على تصوير الصور
في القوة الباصرة وكل ما يشتهيه فيحضر عنده في الحال فيكون شهوته
سبب تخيله وتخيله سبب ابصاره اى بسبب انطباعه في القوة
الباصرة فلا يخطر بباله شيء يميل اليه الا ويوجد في الحال اى
يوجد بحيث يراه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان في
الجنة سوقا تباع فيه الصور والسوق عبارة عن اللطف الالهى
الذى هو منبع القدرة على اختراع الصور بحسب المشية وانطباع
القوة الباصرة بها انطباعا ثابتا الى دوام المشية لا انطباعا هو
بعرض الزوال من غير اختيار كما في النوم في هذا العالم هذه القدرة
اوسع واكمل من القدرة على الايجاد خارج الحس لان الموجود
خارج الحس لا يوجد في مكانين واذا صار مشغولا باستماع
واحد ومشاهدة واحدة ومشاهدته ومماسته صار مستغرقا

بمحجوبًا عن غيره وامّا هذا فيتّسع اتّساعًا لا ضيق فيه ولا
منع حتّى لو اشتهى مشاهدة الشيء مثلًا الف شخص في الف مكان
في حالة واحدة لشاهدوه كما خطر ببالهم في المكانات المختلفة
وامّا الابصار الحاصل في تشخّص للشيء الموجود من خارج الحسّ
لا يكون الّا في مكانٍ واحدٍ وحمل امر الآخرة على ما هو اوسع واوفى
بالشهوات واوفق لها اولى ولا يقصر عن رتبتها في الوجود اختصاص
وجودها بالحسّ وانتفاء وجودها من خارج فانّ وجودها
مرادًا لاجله وحظّه من وجوده وجوده في حينه فاذا اوجد
فقد توفّر حظّه والباقي فضل لا حاجة اليه وانّما يراد لانّه طريق
الى المقصود وقد تعيّن كونه طريقًا في هذا العالم الضيّق القاصر امّا
في ذلك العالم فتتّسع الطرق ولا يتعيّن هذا الطريق وامّا الوجود
الثالث في امكانه وهو الوجود العقلي ان يكون هذه المحسوسات
امثلة للذّات عقلية ليست محسوسة لكن العقليّات تنقسم الى
انواع كثيرة مختلفة اللذّات كالحسّيّات فتكون الحسّيّات امثلة
لها وكلّ واحدة يكون مثالًا للذّة اخرى ممّا رتبته في العقليّات

يوازي رتبته المثال في الحسّيّات فانّه لو رآء رجل في المنام الخضرة
والماء الجاري والوجه الحسن والانهار المفرطة باللبن والعسل
والخمر والاشجار المزيّنة بالجواهر واليواقيت واللآلي والقصور المبنيّة
من الذهب والفضّة والاسورة المرصّعة بالجواهر والغلمان
الماثلين بين يديه للخدمة لكان المعبّر يفسّر ذلك بالسرور ولا
يحمله على نوعٍ واحدٍ بل يدلّ كلّ واحدٍ على نوعٍ آخر من السرور
وقرّة العين يرجع بعضه الى سرور العلم وكشف العلوم وبعضه
الى سرور المملكة ونفوذ الامر وبعضه الى مشاهدة الاصدقاء
وهي ان شملها اسم اللذّة والسرور فهي مختلفة المراتب مختلفة
الذوق لكلّ واحدٍ منها ذوق يفارق الآخر وكذلك اللذّات العقلية
ينبغي ان تفهم كذلك وان كانت ممّا لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر فجميع هذه الاقسام ممكنة فيجوز ان تجمع
بين الكلّ للواحد ويجوز ان يكون نصيب كلّ واحدٍ من ذلك بقدر
استعداده فالمشغوف بالتقليد والجمود على الصورة الذي لم ينفتح
له طرق الحقائق يتمثّل له هذه الصورة والعارفون المستبصرون

بعالم الصور واللذات المحسوسة ينفتح لهم من لطايف السرور
واللذات العقلية وما يليق بهم ويشفي شرههم وشهوتهم اذ حد
الجنة ان فيها لكل امرء ما يشتهيه فاذا اختلفت الشهوات لم يبعد
ان تختلف العطيات واللذات والقدرة واسعة والقوة البشرية عن
الاحاطة بعجايب القدرة قاصرة والرحمة الالهية اقتضت بواسطة
النبوة الى كافة الخلق القدر الذى احتملته افهامهم فيجب التصديق
بما فهموه والاقرار بما وراء منتهى الفهم من امور يليق بالكرم الالهي
ولا يدرك بالفهم البشري ولا يدرك ذلك الا في مقعد صدق
عند مليك مقتدر **مسئلة** لعلك تقول هذه اللذات الحسية
والخيالية التى وعدت في الجنة لا تدرك الا بالقوة الحساسة
المتخيلة وهذه القوى الجسمانية لا يتصور ابداعها الا في الجسم
وكذلك القبر وعذاب القبر وعذاب جهنم لا يدرك الا بالقوى
الجسمانية واذا فارقت الروح الجسد انحلت الاجزاء واضمحلت
القوة الخيالية والحسية فكيف يتمثل المانع الزكوة شجاع اقرع
ويسلط على الكافر في القبر تنين له تسع وتسعون راسا كالحية

فهذه

فهذه الصورة اما خيالية واما حسية وقد بطل الكل بالموت
فكيف سبيل اثباتها واعلم ان هذا يستنكره من يبطل حشر الاجساد
ويحيل رد النفس الى الجسد وليس يقوم على استحالته برهان
حقيقي بل لا يبعد ان يوضع بعض الاجساد لتخيل النفس واحساسها
بعد الموت لا في القبر ولا في القيامة وكلما ذكره الاوايل في الدلالة
على استحالته ليس برهان محقق والشرع قد ورد به فيجب تصديقه
ودليل انه ليس مبرهنا عند الفلاسفة ذلك ان افضل متاخري
الفلاسفة ابو علي سينا وقد اثبت ذلك في كتاب النجاة والشفا
ولا يبعد ان يكون بعض الاجسام السماوية موضوعا لتخيل
النفس بعد الموت وحكى ذلك عمن عظم رتبته اذ قال وقد قال
من لا يجازف من العلماء ذلك غير ممتنع وهذه القضية
تدل على انه شاك في هذا الاصل ولم يقم عنده برهان عليه
وان كان محالا لما وصف قايله بانه لا يجازف بل اي مجازفة
تزيد على القول بالمحال وربما يقول قايل ان ذلك انما ذكره
على طريق المجاملة والتقية والا بعد ذكره في مسئلة التناسخ

من كتاب النفس استحالة تناسخ الابدان كنفس واحدة وذلك
بعينه دليل ابطال الحشر للاجساد فنقول لما ذكره في استحالة
التناسخ ايضا ليس ببرهان محقق فانه قال لو عاود النفس جسدا
استعد لقبول فاضت اليه نفس من واهب الصور فان المستعد
يستحق بذاته قبول الصور فيؤدى الى ان يفيض اليه نفس ويتعلق
به النفس المستنسخ فيجتمع نفسان لبدن واحد وهو محال وهو الذي
ذكره يمكن ان يستعمل في اعادة حشر الاجساد لكنه دليل ضعيف
اذ يقال يجوز ان يختلف الاستعدادات ويكون الاستعدادات
ما يناسب المفارقة الموجودة من قبل حتى يختص بتدبيرها ولا يحتاج
الى افاضة نفس جديد فانه لو استعدت في الارحام نطفتان لقبول
النفس في حالة واحدة فاضت اليهما نفسان من واهب الصور
واختص بكل واحد منهما نفس ليس اختصاصه بالحلول فيه فان
النفس لا تحل الجسد حلول الاعراض لكن اختصاص النفس باحد
الجسدين المستعدين بمناسبة بينهما في الاوصاف في احد المستعدين
اختصاص احد النفسين دون الاخر فاذا جاز هذا التخصيص

في احد النفسين المتماثلين فلم لا يجوز في النفس المفارقة فاذا
توفر على المستعد حقه من النفوس المفارقة المناسبة له لم يفض الى
نفس جديدة يفيض اليه من واهب الصورة ولا يفيض ولتقرير هذا
الكلام خوض لسنا نخوض فيه وانما المقصود بيان ان من انكر
حشر الاجساد لا برهان معه واذا لم يكن عليه برهان فلعل الادراكات
الحسية والخيالية بعد الموت في القبر والقيمة فان قال قائل نحن نراه
في القبر لا خبر ولا حراك به قلنا وقد نرى صاحب السكتة كذلك
والادراك يجوز ان يقوم بجزء صغير يكاد لا يتجزى ولو من
باطن الميت ولا اعتماد فيه على عدم المشاهدة بحركته **مسئلة**
ورد الخبر بان حسنات الظالم ينقل الى ديوان المظلوم في القيمة
وسيئات المظلوم ينقل الى الظالم وربما يقول من لا يفهم اسرار النبوة
ان هذا محال لان الحسنات والسيئات عبارة عن اعمال وحركات
قد انقضت وانعدمت فكيف ينقل المعدوم بل لو كانت باقية
وهي اعراض فكيف ينقل الاعراض وانا اقول نقل الحسنات والسيئات
بسبب الظلم واقع في الدنيا في وقت جريان الظلم لكن ينكشف

فى القيامة فيرى طاعات نفسه فى ديوان غيره لا ينتقل فى
ذلك الوقت بل ينتقل فى الدنيا كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار اخبر عن ذلك فى الاخرة وهو كذلك فى الدنيا ولم يتجدد
ذلك فى الاخرة لكن لا يمكن حقيقته لكافة الخلق الا فى القيامة
ولا يعلم الانسان ليس موجودا له وان كان موجودا فى نفسه
فاذا علمه صار موجودا له وكانه وجد الان فى حقه فقد يعتقد
تجدده فى تلك الحالة كما يتوهم تجدد الوجود فقد سقط بهذا
قول من قال المعدوم فكيف ينقل وعلى ان العرض كيف فيقول المنقول
ثواب الطاعة لا نفس الطاعة ولكن لما كانت تراد لثوابها عبر
عن نقل مقصودها بنقل الطاعة وذلك سايغ فى التجوز
والاستعارة فان قيل وثواب الطاعة عرض او جوهر فان كان
عرضا فالاشكال فى نقله قايم وان كان جوهرا فما ذلك الجوهر
فاقول اعنى بثواب الطاعة اثر الطاعة فى القلب فان للطاعة
تاثيرا فى القلب بالتنوير وللمعاصى تاثيرا بالقسوة والظلمة وبالنور
الطاعة تستحكم مناسبة القلب من استعداده لقبول المعرفة

ومشاهد

ومشاهدة الحضرة الربوبية وبالقسوة وبالظلمة تستعد
البعد والحجاب عن مشاهدة الجمال الالهى فالطاعة مولدة لذة المشاهدة
بواسطة الصفا والنور الذى يحدث فى القلب والمعصية مولدة للحجاب
بواسطة القسوة والظلمة التى تحدث فى القلب وبين اثار الحسنات
والسيئات تعاقب وتضاد ولذلك قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن
السيئات وقال النبى صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها
والالام تمحيصات الذنوب ولذلك قال عليه السلام ان الرجل
ليثاب حتى بالشوكة التى تصيب رجله وقال الحدود كفارات لاهلها
فالظالم يتبع شهوته بالظلم وفيه ما يقسى قلبه ويسوده فيمحو
اثر النور الذى فى قلبه من طاعته وكانه احبط طاعته والمظلوم
يتالم وتنكسر شهوته ويستلين قلبه وتنفارق الظلمة والقسوة
التى حصلت له من اتباع الشهوات ولقد كان قلب الظالم الى قلب
المظلوم وانتقل السواد من المظلوم الى قلب الظالم فهذا معنى نقل
الحسنات والسيئات فان قال قايل فليس هذا نقلا حقيقيا بل حاصله
راجع الى بطلان النور من قلب الظالم وحدوث نور اخر فى قلب

المظلوم وبطلان ظلمة من قلب المظلوم وحصول ظلمة في قلب الظالم
وليس هذا نقلا قلنا اسم النقل قد يطلق على هذا الجنس على سبيل الاستعارة
كما يقال انتقل الظل من موضع وانتقل نور الشمس والسراج من الارض
الى الحائط فكما يقول الطبعي اذا استولت الحرارة في الصيف على
وجه الارض انهزمت البرودة الى باطنها وكل انهزام فهي انتقال
وكما يقال ولاية القضاء والخلافة انتقلت من فلان الى فلان
وكل ذلك يسمى نقلا كنقل الولاية ونقل الظل بحركة الشمس
فالنقل الحقيقي ان يكون ما حصل من المحل الثاني عين ما رحل من المحل
الاول وان كان مثله فلم يكن عينه سمي ايضا نقلا مجازا فهذا معنى
نقل الطاعات ليس فيه الا انه كنى بالطاعة عن ثوابها كما يكنى
بالسبب عن المسبب وسمي اثبات الوصف في محل بابطال مثله في محل
آخر نقلا وكان ذلك سائغا في اللسان ومعناه معلوم بالبرهان
ولو لم يرد به الشرع فكيف اذا ورد **مسئلة** ما سألته من البرهان
على الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
فالقول فيه طويل عند من لا يعرفه وجيز عند العارف فانك اذا

عرفت

اذا عرفت انك حادث فالحادث لا يستغني عن محدث فقد
حصل لك البرهان على الايمان بالله وما اقرب هاتين المعرفتين الى العقل
اعني انك حادث وان الحادث لا يحدث بنفسه فاذا عرفت
نفسك وانت جوهر خاصيتك معرفة الله تعالى ومعرفة
ما ليس بمحسوس وليس بالبدن قوام ذاتك فانهدام البدن لا يعدمك
فقد عرفت اليوم الآخر بالبرهان فانه لا معنى لليوم الآخر الا ان لك
يومين يوم حاضر وانت مشغول بهذا الجسد ويوم آخر انت
فيه مفارق لهذا الجسد وان لم يكن قوامك بالجسد وقد فارقته
بالموت فقد حضر اليوم الآخر واذا عرفت انك اذا فارقت المحسوسات
بمفارقة الجسد بقيت اما منعما بمعرفة الله تعالى التي هي خاصية
ذاتك ومنتهى لذاتك بمقتضى طبعك الاصلي لو لم تمرض
بالميل الى الشهوات او معذبا بالحجاب عن الله تعالى الذي هو منتهى
شهواتك من حيث الطبع الاصلي محولا بينك وبين ما تشتهيه
وعرفت ان سبب المعرفة الفكر والذكر والاعراض عن غير الله تعالى
وسبب المرض المانع لمعرفة الله تعالى الاقبال على الشهوات والحرص

على الدنيا او عرفنا ان الله تعالى قادر على ان يعرف عموم عباده
ذلك بواسطة الكشف كبعض عباده وعرفنا انه قد فعل ذلك
فقد سلم بالبرهان وامنت واذا عرفنا ان هذه التعريفات للانبياء
عليهم السلام انما تكون في كسوة الفاظ وعبارات توحى اليهم وتلقى
في سمعهم اما في يقظة او منام فقد امنت بالكتب واذا عرفت
ان افعال الله تعالى منقسمة الى ما فعله بغير واسطة والى ما فعله
بواسطة وان وسايطه مختلفة المراتب فالوسايط القريبة هم
المقربون وعنهم يعبر بالملائكة لكن معرفة هذا بطريق البرهان
عسير والقول فيه طويل وصدق الرسل باخبارهم عنهم بعد ان عرفت
صدق الرسل بالبرهان واكتف بذلك فانه من درجات الايمان

فصل

يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
قال الشيخ الامام حجة الاسلام رضي الله عنه سئلت عن رؤية
الله تعالى في المنام وان ذلك مما اختلف فيه الناس فاعلم ان الخلاف
في هذا غير متصور بعد الكشف عن حقيقة هذه المسئلة والحق
انا نطلق القول بان الله تعالى يرى في المنام كما نطلق انه يرى

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ولكن من لا يفهم معنى
رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام كيف يفهم معنى رؤية الله
تعالى ولعل العالم الذي طبعه قريب من طبع العوام فهم ان من
راء رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقد راء حقيقة شخصه
المودع في روضة المدينة وانه شق القبر وخرج مرتحلا الى موضع
الرؤية ما اشد جهل من توهم ذلك فقد يراه الف رائي في ليلة
واحدة في الف موضع فكيف يتصور شخص واحد في حالة واحدة
في الف موضع بصور مختلفة شيخ شاب طويل قصير صحيح مريض
ويرى على جميع هذه الصور ومن انتهت حماقته الى هذا الحد
فقد انخلع عن غريزة العقل فلا ينبغي ان نخاطب فلعله يقول
ما نراه مثاله لا شخصه فيقال مثال شخصه او مثال حقيقة روحه
المقدسة عن الصورة والشكل فان قال هو مثال شخصه الذي
هو عظمه ولحمه فاي الحاجة الى تمثيل شخصه وشخصه في نفسه
متخيل محسوس ثم من راى شخصه بعد الموت دون الروح فكانه
ما راى النبي صلى الله عليه وسلم بل راى جسما كان يتحرك

بتحريك النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يكون رائيا له
برؤية مثال شخصه بل الحق انه مثال روحه المقدسة التي
هي محل النبوة فما راه من الشكل ليس هو روح النبي صلعم وجوهره
ولا شخصه بل مثاله على التحقيق فاي معنى لقوله عليه السلام
من راى في المنام فقد راني لا معنى له الا ان ما راه مثال
صار واسطة بيني وبينه في تعريف الحق اياه فكما ان جوهر
النبوة اعني الروح المقدسة الباقية من النبي صلعم بعد وفاته
منزهة عن اللون والشكل الصورة لكن تعريفه الى الامة بواسطة
مثال صادق ذي شكل له لون صورة فهو حق وان كان جوهر
النبوة منزها عن ذلك وكذلك ذات الله تعالى منزهة عن الشكل
والصورة ولكن ينتهي الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور
او غيره من الصورة الجميلة التي تصلح ان تكون مثالا للجمال
الحقيقي المعنوي الذي لا صورة فيه ولا لون ويكون ذلك مثالا
صادقا وواسطة في التعريف فيقول الذي رايت الله تعالى في المنام
لا بمعنى اني رايت ذاته كما يقول رايت النبي صلعم لا بمعنى

انه

انه راى روحه او راى جسده بل بمعنى انه راى مثاله فان
قيل النبي صلعم له مثل والله تعالى لا مثل له قلنا هذا جهل
بالفرق بين المثل والمثال فليس المثال عبارة عن المثل فان المثل
عبارة عن المساوي في جميع الصفات والمثال لا يحتاج فيه الى المساواة
فان العقل معنى لا يماثله غيره مماثلة حقيقة ولنا ان نتصور
الشمس له مثالا لما بينهما من المناسبة في شيء واحد وهو ان المحسوسات
تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات بالعقل فهذا القدر من
المناسبة كاف للمثال في النوم بل السلطان يقال مثاله الشمس والوزير
يقال له مثاله القمر والسلطان لا يماثل الشمس بصورته ولا بمعناه
ولا الوزير يماثل القمر الا ان السلطان له استعلاء على الكافة ويعم
امره الجميع والشمس تناسبه في هذا القدر والقمر واسطة بين الشمس
والارض في افاضة اثر النور كما ان الوزير واسطة بين السلطان
وبين الرعية في افاضة نور العدل فكذلك القمر واسطة بين الشمس
والارض في افاضة النور فهذا مثال وليس بمثل قال الله تعالى الله
نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح الاية

وأي مماثلة بين نوره وبين الزجاجة والمشكوة والشجر والزيت
وقال الله تع انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل
السيل زبدا رابيا الاية وذكر ذلك مثالا للقران والقران
صفة قديمة لا مثال له فكيف صار الماء مثالا له وكم من المنامات
عرضت على رسول الله صلعم من رؤية اللبن والحبل فقال اللبن هو
الاسلام والحبل هو القران الى امثاله لا تحصى ولا مماثلة بين اللبن
والاسلام وبين الحبل والقران الا في مناسبة وهو ان الحبل يتمسك
به للنجاة واللبن غذاء الحيوة الظاهرة والاسلام غذاء الحيوة
الباطنة فهذا كله مثال وليس بمثل بل هذه الاشياء لا مثل لها
والله تعالى لا مثل له يحاكيه بمناسبة معقولة من صفات الله تع
فانا اذا عرفنا ان الله تعالى كيف يخلق الاشياء وكيف يعلمها
وكيف يدبرها وكيف يتكلم وكيف يقوم الكلام بنفسه مثلنا
جميع ذلك بالانسان ولو ان الانسان عرف من نفسه هذه الصفات
لما فهم مثاله في حق الله تع والمثال في حق الله تع حق والمثل باطل
فان قيل فهذا التحقيق الذي ذكرتموه ليس يفضي الى ان الله تعالى

يرى في المنام بل ان الرسول ع م ايضا لا يرى فان المرئي مثاله
لا عينه فقوله من رآني في المنام فقد رآني فهو نوع تجوز معناه
كانه رآني وما سمع من المثال كانه سمع مني قلنا او هذا هو الذي
يريده القايل بقوله رأيت الله تعالى في المنام لا غير اما انه يريد بانه راى
ذاته على ما هي عليه فلا فاذا حصل الاتفاق على ان ذات الله تعالى وذات
النبي صلى الله عليه وسلم لا يريان في النوم وان مثالا يعتقده النائم
ذات الله وذات النبي صلى الله ع م يجوز ان يرى فكيف ينكر ذلك
مع وجوده في المنامات فان من لم يره بنفسه فقد تواتر اليه من
جماعة انهم راوا ذلك الا ان المثال المعتقد قد يكون صادقا
وقد يكون كاذبا ومعنى الصادق فجعل الله تعالى اياه واسطة
بين الرائي وبين المرئي وبين النبي في تعريف بعض الامور وفي
قدرة الله تعالى خلق مثل هذه الواسطة بينه وبين العبد في ايصال
الحق به وهو موجود فكيف ينكر امكانه فان قيل هذا التجوز في حق
الرسول صلى الله ع م قد اذن في اطلاقه في حقه ولا يجوز في حق الله
تعالى من الاطلاق الا ما ورد بالاذن قلنا قال رسول الله صلى

عليه وسلم رايت ربي في احسن صورة وهذا مما قد ورد في
الاخبار التي وردت في اثبات الصورة لله تع كقوله خلق آدم
على صورته وامثال ذلك وليس المراد به صورة الذات اذ الذات
لا صورة لها الا من حيث التجلي بالمثال كما تجلى جبرائيل ع م في صورة
دحية الكلبي وفي غيره من الصور حتى انه رآه مرارا كثيرة وما
راى جبرائيل ع م في صورته الحقيقية الا مرتين وتمثل جبرائيل ع م
في صورة دحية الكلبي ليس بمعنى ان ذات جبرائيل ع م انقلبت
صورة دحية الكلبي بل بمعنى انه ظهرت تلك الصورة للرسول
صلعم مثالا موديا عن جبرئيل ما اوحى اليه وكذلك قوله تعالى
فتمثل لها بشرا سويا واذا لم يكن ذلك استحالة في الملك لا انفكاكا
بل يبقى جبرئيل على حقيقته ووصفه وان ظهر للنبي صلعم في صورة
دحية الكلبي فلا يستحيل اطلاق ذلك في حق الله تعالى في يقظة
ولا منام وهذا ما يدل من جهة الخبر على جواز اطلاقه وقد ورد
عن السلف اطلاق ذلك ونقل فيه آثار واخبار ولو لم يرد فيه اطلاق
لكنا نقول بجواز اطلاق كل لفظ في حق الله تع صادق واسع

فيه

فيه ولا يحرم اذا كان لا يوهم الخطاء عند المستمع وهذا لا يوهم
رؤية الذات عند الاكثرين لكثرة تداول الالسنة فان فرض
شخص توهم عنده خلاف الحق ولا ينبغي ان يطلق القول معه بل
بل يفسر له معناه كما يجوز لنا ان نقول انا نحب الله تعالى ونشتاق
اليه ونريد لقاءه وقد سبق الى فهم قوم من هذه الاطلاقات خيالات
فاسدة والاكثرون يفهمون معناه على وجهه من غير خيال
فاسد فيرعى في هذه الاطلاقات حال المخاطب فيجوز الاطلاق
من غير كشف وتفسير حيث لا ايهام ويجب الكشف عند الايهام
وعلى هذا يرد الخلاف الى اطلاق اللفظ وجوازه بعد حصول
الاتفاق على حط المعنى في ان ذات الله تع غير مرئية وان
المرئي مثال فظن من ظن استحالة المثال في حق الله تع خطاء بل
يضرب الله تعالى الصفات الامثال فتنزه عن المثل
لا عن المثال والله اعلم بالصواب تمت الرسالة ولله الحمد

ويتلوه المضنون به على غير اهله والله الهادي

٦٠

المضنون به على غير أهله تأليف الشيخ الإمام حجة الإسلام
ابو حامد محمد الغزالي
الطوسي
رحمه

٢٩

المضنون به على غير اهله والله الهادي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على موجب ما هدانا الى حمده ووفقنا
للقيام بشكره والصلوة والسلام على محمد اشرف
من انتسب الى آدم عم وعلى آله وصحبه الابرار و
الاخيار وسلم عليهم اجمعين اعلم ان لكل صناعة
اهلا يعرف قدرها ومن اهدي نفايس صناعة الي
غير اهلها فقد ظلمها وهذا علق نفيس مضنون به
على غير اهله فمن صانه عمن لا يعرف قدره فقد قضى حقه
اكرمت بهذا العلق على سبيل الهادي اخي وعزيزي
احمد صانه الله تع عن الركون الى دار الغرور واهله
بعض حقايق الاشياء التي كانت معرفة جميعها مطلوبة
لسيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم حيث قال ارني الاشياء
كما هي وهذا العلق المضنون به على غير اهله يشتمل
على اربعة اركان الركن الاول في معرفة الربوبية

الركن

الركن الثاني في معرفة الملائكة الركن الثالث في حقائق
المعجزات الركن الرابع في معرفة ما بعد الموت والانتقال
من الدنيا الى العقبى وفقنا الله تع لما يرضى ويحب
فانه خير موفق ومعين واليه المرجع والمصير الركن الاول
في علم الربوبية قبل الزمان لا يكون تجدد الزمان وخلق
الزمان في الزمان امر محال فاليوم هو الكون الحادث
في اللغة وايام الله تو حيث قال تعالى وذكرهم بايام
الله مراتب مخلوقاته ومصنوعاته ومبتدعاته من
وجوه منها قوله تع وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام الآية فيوم مادة السماء ويوم صورتها
ويوم كواكبها ويوم نفوسها وقوله تو خلق الارض في
يومين المادة والصورة ومادة السموات مادة
يزوجها صورة واحدة ومادة الارض مادة مشتركة
بين ازواج وفحول وهي اخس لانها مثل مومسة تقبل
كل ناكح ومنها الجماد والمعدنيات داخلة في الجماد

والنبات والحيوانات العجم والانسان والآثار العلوية
والاجرام السماوية ومنها الارض والماء والهواء
والنار والآثار العلوية والاجرام السماوية وكل ما هو
فوق الارض فهو سماء من طريق اللغة لان اهل اللغة
يقول كل ما علاك فهو سماؤك وكل ما هو دون الفلك
اعنى فلك القمر بالنسبة الى الافلاك ارض فقوله تعالى
ومن الارض مثلهن الاولى كرة النار والثانية كرة الهواء
والثالثة كرة الطين المجفف الذى فوق الماء والرابعة
الماء والخامسة الارض البسيطة والسادسة
الممتزجات من هذه الاشياء والسابعة الآثار العلوية
فصل فليرتقوا فى الاسباب للارتقاء من الاخس الى
الاشرف حتى ينتهى الى واجب الوجود كما قال تع وان
الى ربك المنتهى وقوله تع يوم نطوى السماء كطى السجل
للكتاب وقوله تع ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما
الاول انطباق فلك البروج على معدل النهار والفتق بعد

الرتق ظهور الميل فصل الرزق متعذر مضمون وهو
من المعقولات لا من المنقولات لان الله تع عقل ذاته وما
يوجبه ذاته فهو قد عقل جميع الموجودات وان كان بالقصد
الثانى وانما يوجب وجود كل واحد منها اعنى من الموجودات
المبتدعات على ما وجد لانه سبحانه وتع يعقل وجود الكل من
ذاته فكما ان تعقله ذاته لايجوز ان يتغير كذلك تعقله لكل ما
يوجبه ذاته ولكل ما يعقل وجوده من ذاته لا يتغير بل يجب
وجود ذلك كله ووجود انواع الحيوانات وبقاؤها متعقل
لا شك وخصوصا النوع الانسانى والنوع انما يبقى محفوظا
بالاشخاص وبلوغ كل شخص الى الغاية التى يمكن ان يولد شخصا
آخر مثله لا يمكن الا ببقائه مدة وبقاؤه تلك المدة لا يصح
الا بما فيه قوام الحيوة وقوام الحيوة بالرزق فلانه تعالى
يعقل وجود الكل من ذاته ووجود ما يعقله من ذاته واجب
ويعقل بقاء النوع الانسانى ببقاء الاشخاص وتناسلهم و
يعقل تناسلهم ببقاء كل شخص مدة بما فيه قوام حيوته

وهو الرزق والرزق انما يكون من النبات والحيوان
وهما الخبز واللحم والفواكه من جملة النبات واكثر الحلاوي
فوجب ان يكون الرزق مضمونا بتقدير الرؤف الرحيم لذلك
قال الله تع وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء
والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون **فصل** من لا
يعرف حقيقة الرؤيا لا يعرف حقائق اقسام الرؤيا ومن
لا يعرف حقيقة رؤيا الرسول صلعم وسائر الرسل عم بل
رؤيا الذين ماتوا لا يعرف حقيقة رؤيا الله تع في المنام
والعامي تصور ان من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام فقد رأى حقيقة شخصه العزيز وكما ان المعنى الذي
وقع في النفس حاكي الخيال عنه بلفظ فكذلك كل نقش
ارتسم في النفس يمثل الخيال له صورة ولا ادري انه كيف
يتصور رؤية شخص الرسول صلعم في المنام وشخصه مودع
في روضة المدينة وما شق القبر وما خرج الى موضع يراه
النائم وان سلمنا ذلك فربما يراه في ليلة واحدة الف نائم

في الف موضع على صور مختلفة والوهم يساعد العقل في
انه لا يمكن تصور شخص واحد في حالة واحدة في مكانين
ولا على صورتين طويل وربع شاب وكهل وشيخ ومن
لا يحيط معرفته بفساد هذا التصور فقد قنع من غريزة
العقل بالاسم والرسم دون الحقيقة والمعنى ولا ينبغي ان
يعاتب بل لا ينبغي ان يخاطب فلعله يقول ما يراه مثاله
لا شخصه فيقال هو مثال شخصه او مثال روحه المقدسة
من الصورة والشكل فان قال هو مثال شخصه فاي حاجة
الى تمثيل شخصه وشخصه في نفسه متخيل ومحسوس ومن
رأى شخصه بعد الموت دون الروح فكانه ما رأى النبي عم
بل رأى جسما كان يتحرك بتحريك النبي عم وكيف يكون
اشكاله برؤية مثال شخصه بل الحق انه مثال روحه المقدسة
التي هي محل النبوة فما رآه من الشكل ليس هو روح النبي عم
وجوهره ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق فاي معنى
لقوله عم من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي

الآن ما رآه مثال وواسطة بيني وبينه من تعريف الحق اياه
وكما ان روح النبوة اعني الروح المقدسة الباقية من النبي عم
بعد وفاته منزهة عن اللون والشكل والصورة لكن ينتهي
تعريفاته الى الامة بواسطة مثال صادق حق وذلك المثال
هو شكله لون وصورة وان كان له جوهر النبوة منزهًا
عن ذلك فكذلك ذات الله تع منزهة عن الشكل والصورة
لكن ينتهي تعريفاته الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور
او غيره من الصور الجميلة التي تصلح ان يكون مثالا للجمال الحقيقي
المعنوي الذي لا صورة فيه ولا لون ويكون ذلك المثال
صادقًا وحقًا وواسطة في التعريف فيقول النائم رأيت
ربي في المنام لا بمعنى اني رأيت ذاته كما تقول رايت النبي
صلى الله عليه وسلم لا بمعنى انه رأى ذات النبي عم وروحه
او ذات شخصه بل بمعنى انه رأى مثاله فان قيل ان النبي عم
له مثل والله تع لا مثل له قلنا هذا جهل بالفرق بين
المثل والمثال فليس المثال عبارة عن المثل فالمثل

عبارة عن المساوي في جميع الصفات والمثال لا يحتاج
فيه الى المساواة فان العقل معنى لا يماثله غيره قلنا ان
تصور الشمس له مثالًا لما بينهما من المناسبة في شيء واحد
وهو ان المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات
بالعقل فهذا القدر من المناسبة كاف للمثال بل السلطان
يمثل في النوم بالشمس والقمر بالوزير والسلطان لا يماثل
الشمس لكافة ويعم اثر الجميع والشمس يناسبه في هذا القدر
والقمر واسطة بين الشمس والارض في افاضة النور كما ان
الوزير واسطة بين السلطان والرعية في افاضة اثر العدل
فهذا مثال وليس بمثل والله تع قال الله نور السموات والارض
مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح واي مماثلة
بين نوره وبين نور الزجاجة والمشكوة والشجر والزيت
كما قال تع انزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها
فاحتمل السيل زبدًا رابيًا الآية ذكر ذلك تمثيلًا للقرآن
والقرآن صفة قديمة لا مثل له فكيف صار الماء مثالًا له و

لصورته ولا بمعناه ولا الوزير يماثل
السلطان لم استعلاه
القمر على صح

كم من المنامات عرضت على رسول الله صلعم من رؤية
لبن او جبل فقال صلى الله عليه وسلم اللبن هو الاسلام
والجبل هو القرآن الى امثال له لا تحصى فاي مماثلة بين
اللبن والاسلام والجبل والقرآن الا في مناسبة وهو
ان الجبل يتمسك به للنجاة والقرآن يتمسك به للنجاة واللبن
غذاء به الحيوة الظاهرة والاسلام غذاء به الحيوة الباطنة
فهذا كله مثال وليس بمثل بل هذه الاشياء لا مثل لها
والله تع لا مثل له لكن له امثلة محاكية لمناسبات معقولة
من صفات الله تبارك وتعالى فانا اذا عرفنا المسترشد
ان الله تع كيف يخلق الاشياء وكيف يعلمها وكيف
يدبرها وكيف يتكلم وكيف يقوم بنفسه مثلنا جميع ذلك
بالانسان ولولا ان الانسان عرف من نفسه هذه
الصفات لما فهم مثاله في حق الله تع فالمثال في حق الله تع
جائز والمثل باطل فان المثال هو ما يوضح الشيء والمثل
ما يشابه الشيء فان قيل هذا التحقيق الذي ذكرتموه ليس

يفضي الى ان الله تع يرى في المنام بل الى ان الرسول عم
ايضا لا يرى فان المرئي مثاله لا عينه فقوله عم من رآني
في المنام فقد رآني وهو نوع تجوز معناه كانه رآني وما
سمع من المثال كانه سمع مني قلنا وهذا ما يريده القائل
بقوله رايت الله تع في المنام لا غير اما ان يريد به انه رأى
ذاته على ما هو عليه فلا فاذا حصل الاتفاق على ان ذات
الله تع وذات النبي عم يجوز ان يرى وكيف ينكر ذلك
مع وجوده في المنامات فان من لم يره بنفسه فقد تواتر اليه
من جماعة انهم رأوه ذلك الا ان المثال المعتقد قد يكون
صادقا وقد يكون كاذبا ومعنى الصادق ان الله تع جعل
رؤياه واسطة بل هذا المثال واسطة بين الرائي وبين
النبي عم في تعريف بعض الامور وفي قدرة الله تع خلق
مثل هذه الواسطة بين العبد وبينه وايصال الحق به
وهو موجود فكيف ينكر امكانه فان قيل اذا كان رؤية
الرسول صلعم تجوزا فالتجوز مما قد اذن في اطلاقه في حقه

لايجوز في حق الله من الاطلاقات الا ما ورد الاذن به

قلنا قد ورد الاذن باطلاق ذلك فان رسول

الله صلعم قال رايت ربي في احسن صورة وهذا

فيما اورد في الاخبار التي وردت في اثبات الصورة

لله تع حيث قال عم ان الله تع خلق آدم على صورته

وامثال ذلك وليس المراد به صورة الذات اذ الذات لا

صورة لها الا من حيث التجلي بالمثال كما تجلى جبريل

في صورة دحية الكلبي وفي غيره من الصور حتى انه

رآه مرارا كثيرة وما رأى جبريل في صورته الحقيقية الا

مرة او مرتين وتمثل جبريل في صورة دحية الكلبي ليس

بمعنى انه انقلبت ذاته صورة الدحية الكلبي بل انه ظهر

تلك الصورة للرسول صلعم مثالا مؤديا عن جبريل

ما اوحي اليه وكذلك قوله تع فتمثل لها بشرا سويا واذا

لم يكن ذلك استحالة في ذات الملك وانقلابا بل بقي

جبرئيل عم على حقيقته وصفته وان ظهر للنبي عم

في صورة دحية الكلبي فلا يستحيل مثل ذلك في حق الله تع

في يقظة ولا منام فهذا ما يدل من جهة الخبر على جواز الاطلاق

وقد ورد من السلف اطلاق ذلك ونقلت فيه اخبار

وآثار ولو لم يرد فيه الاطلاق لكنا نقول يجوز اطلاق

كل لفظ في حق الله تع صادق لا منع منه ولا تحريم اذا كان

لا يوهم الخطاء عند المستمع وهذا لا يوهم رؤية الذات عند

الاكثرين لكثرة تداول الالسنة له فان فرض شخص عنده

يوهم عقده عنده خلاف الحق فلا ينبغي ان يطلق معه القول

بل يفسر له معناه كما يجوز ان نقول انا نحب الله تع و

نشتاق اليه ونريد لقاءه وقد يسبق الى فهم قوم من

هذه الاطلاقات خيالات فاسدة والاكثرون يفهمون

معناه على وجه من غير خيال فاسد ويرعى في هذه

الاطلاقات حال المخاطب فيجوز الاطلاق من غير كشف

وتفسير حيث لا ابهام ويجب الكشف عند الابهام وعلى

الجملة هذا يرد الخلاف الى اطلاق اللفظ وجوازه بعد

فان فرض شخص يوهم عنده

حصول الاتفاق على حفظ المعنى من ان ذات الله تع
غير مرئية وان المرئي مثال وظن من ظن استحالة المثال
في حق الله تع خطاء بل يضرب الله ولصفاته الامثال و
ينزهه عن المثل ولا ينزهه عن المثال ولله المثل الاعلى
فصل قوله تع قل هو الله احد فرق بين الواحد
والاحد قال تع والهكم اله واحد فيقال للانسان
شخص واحد وصنف واحد والمراد انه جملة هي جملة واحدة
ويقال الف واحد فالواحد المشار اليه من طريق العقل
او الحس هو الذي يمنع مفهومه من وقوع الشركة فيه والاحد
هو الذي لا تركيب فيه ولا اجزاء له بوجه من الوجوه فالواحد
نفي الشريك والمثل والاحد نفي الكثرة في ذاته قوله تعالى
الله الصمد فالصمد الغني المحتاج اليه غيره وهذا دليل على
ان الله تع احدي الذات وواحد لانه لو كان له شريك
في ملكه لما كان صمدا غنيا يحتاج اليه غيره بل كان هو
ايضا يحتاج الى شريكه في المشاركة او التثنية ولو كان له

اجزاء تركيب واحد لما كان صمدا يحتاج اليه غيره بل كان
هو محتاجا في قوامه ووجوده الى اجزاء تركيبه وحده
فالصمدية دليل على الواحدية والاحدية لم يلد دليل
ان وجوده المستمر ليس مثل وجود الانسان الذي يبقى نوعه
بالتوالد والتناسل بل هو وجود مستمر ازلي ابدي ولم
يولد دليل ان وجوده ليس مثل وجود نفس الانسان
الذي يحصل بعد العدم ويبقى دائما اما في جنة عالية
لا تفنى واما في هاوية لا ينقطع ولم يكن له كفوا احد
دليل على ان الوجود الحقيقي الذي له تبارك وتعالى
هو الوجود الذي يفيد وجود غيره ولا يستفيد الوجود
من غيره وليس ذلك الا له تع فقوله تع هو الله دليل على
اثبات ذاته المقدسة المنزهة والصمدية نفي واضافة
نفي الحاجة عنه واحتياج غيره اليه والاحدية ولم يلد الى
آخر السورة سلب ما يوصف تع عنه فلا طريق في معرفة
ذات الله تع ابين واوضح من سلب صفات المخلوقات عنه

فصل يتخيل بعض الناس كثرةً في ذات الله تع
من طريق تعدد الصفات وقد صح قول من قال في
الصفات لا هو ولا غيره وهذا التخيل يقع من توهم
التغاير ولا تغاير في الصفات مثال ذلك ان انسانا
يعلم صورة الكتابة وله علم بصورة بسم الله التي تظهر
تلك الصورة على القرطاس وهذه صفة واحدة وكمالها
ان يكون المعلوم تبعا لها فانه اذا حصل العلم بذلك الكتابة
ظهرت الصورة على القرطاس بلا حركة يد وواسطة قلم و
مداد فهذه الصفة من حيث ان المعلوم انكشف بها
يقال لها علم ومن حيث ان الالفاظ تدل عليها يقال
لها كلام فان الكلام عبارة عن مدلول العبارات
ومن حيث ان وجود المعلوم تبع لها يقال لها القدرة
ولا تغاير ههنا بين العلم والقدرة والكلام فان هذه
صفة واحدة في نفسها ولا تكون هذه الاعتبارات الثلث
واحدة وكل من كان اعور ينظر بالعين العوراء فلا يرى

الا مطلق الصفة فيقول هو هو واذا التفت الى الاعتبارات
الثلث فقال هي غيره ومن اعتبر مطلق الصفة مع الاعتبارات
فقد نظر بعينين صحيحتين اعتقد انها لا هو ولا غيره والكلام
في صفات الله تع وان كان مناسبا لهذا المثال فهو مباين
له بوجه آخر وتفهيم هذه المعاني بالكتابة عسير غير يسير اما
الوهم الذي وقع لبعض الناس ان المثال في اوصاف الله تع
لا يجوز فيرفعه ان ذلك المتوهم لم يميز بين المثال والمثل فان
المثال يحتاج اليه كما ذكرناه في ان يسترق للمعنى المعقول
من الصور المحسوسة صورة يوضحه ويوصل ذلك المعنى المعقول
الى فهم المستفيد واما المحسوس فلا يحتاج الى مثال لان المحسوس
بعينه مندرج في الخيال الا ترى ان من رأى المقدحة والزند
والنار التي تحصل بينهما لا يحتاج الى مثال لهذه الاشياء
ولكن المعقول المحض الذي لا يندرج في الخيال ولا يضبط الخيال
فانه يحتاج الى الاستعانة بالخيال حتى يصل الى فهم الضعفاء
وليس لله تع مثل كما قال تع ليس كمثله شئ ولكن له تع مثال

وقول النبي صلعم ان الله خلق آدم على صورته اشارة
الى هذا المثال فانه لما كان تع وتقدس موجودا قائما
بنفسه حيا سميعا بصيرا عالما قادرا متكلما فالانسان
كذلك وان لم يكن الانسان بهذه الاوصاف موصوفا
ما عرف الله تع ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عرف
نفسه فقد عرف ربه فان كل ما لم يجد الانسان له من
نفسه مثالا يعسر عليه التصديق والاقرار به وقد اوحى الله
تعالى الى بعض انبيائه عليهم السلام يا ايها الانسان اعرف
نفسك تعرف ربك ولذلك لا يحيط علم الانسان باخص
وصف الله تع لانه ليس في المبتدعات والمخلوقات مثال
وانموذج من ذلك الوصف الخاص له تع ولذلك اسم
للوصف الخاص الذي له سبحانه وتع لان الانسان انما
يسمى الشيء بعد معرفته اياه واذا لم يكن للانسان اليه
طريق وانموذج فلا علم له به ولا اسم له عنده ولا علامة
فلذلك لا يعرف الله الا الله اعني اخص وصفه وكنه معرفته

فمن قال ان الانسان حي عالم قادر سميع بصير متكلم والله
تعالى كذلك لا يكون هذا القائل مشبها فان التشبيه
اثبات المشاركة في الوصف الاخص ومن قال ان السواد
عرض موجود وهو لون والبياض عرض موجود وهو
لون لا يكون مشبها السواد بالبياض فان الاشتراك
في اللونية والعرضية والوجود لا يكون تشبيها بينهما
فان هذه اوصاف تعمها والموجودات كلها مشتركة في
الوجود العام ولا تماثل بينها وكذلك لا تماثل بين السواد
والبياض مع اشتراكهما في اللونية والعرضية وفي الوجود
فالمثال في حق الله تع سائغ جائز والمثل مستحيل فانا
نقول الله تع مدبر متصرف في العالم وليس في العالم
مثال ذلك ان اصبع الانسان يتحرك ويحركها علمه و
ارادته وليس فيها العلم والارادة فيقع التفهيم بسبب ذلك
ويتصور الضعيف انه كيف يكون مدبرا فاعلا في شيء
غير مجاور له ولا حال فيه **فصل** في تكليف الله تع عباده

لا يضاهي تكليف الانسان عبده الاعمال التي يرتبط بها
غرضه وما لا حظ له فيه ولا يحتاج اليه فلا يكلفه به و
تكليف الله تع عباده يجري مجرى تكليف الطبيب المريض
فاذا غلبت عليه الحرارة امره ان يشرب المبردات والطبيب
غني عن شربه لانه لا يضره مخالفته ولا ينفعه موافقته
ولكن الضرر والنفع يرجعان الى المريض وانما الطبيب هاد
ومرشد فقط فان وفق المريض حتى وافق الطبيب شفي
وتخلص وان لم يوفق حتى خالف الطبيب تمادى به المرض
وهلك وبقاؤه وهلاكه عند الطبيب سيان فانه
مستغن عن بقائه وفنائه فكما ان الله تع خلق للشفاء
سببا مفضيا اليه كذلك خلق السعادة سببا لها وهي
الطاعات ونهي النفس عن الهوى بالمجاهدة المزكية لها
عن رذائل الاخلاق ورذائل الاخلاق مشقيات في
الآخرة ومهلكات كما ان رذائل الاخلاط ممرضات في
الدنيا ومهلكات والمعاصي بالاضافة الى حيوة الآخرة

كالسموم بالاضافة الى حيوة الدنيا وللنفوس طب
كما ان للاجساد طبا والانبياء صلوات الله عليهم
اجمعين اطباء النفوس يرشدون الخلق الى طريق
الفلاح بتمهيد الطرق المزكية للقلوب كما قال الله تع
قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها ثم يقال ان
الطبيب امره بكذا ونهاه عن كذا وانه زاد مرضه
لانه خالف الطبيب وانه صح لانه راعى قانون الطب
ولم يقصر في الاحتماء وبالحقيقة لم يتمادى مرض المريض
بمخالفة الطبيب لعين المخالفة بل لانه سلك غير طريق
الصحة التي امره الطبيب به وكذلك التقوى هو الاحتماء
الذي ينفي عن القلوب امراض القلوب كما ينفي الحمية امراض
الاجساد في الحيوة الدنيا والمثال الآخر ان ملكا
من ملوك الناس يمد بعض عبيده الغايب عن مجلسه
بمال ومركوب ليتوجه تلقاءه لينال رتبة القرب منه و
يسعد بسببه مع استغناء الملك عن الاستعانة به

وتصميم العزم على ان لا يستخدمه اصلاً ثم ان العبد ضيّع
المركوب واهلكه وانفق المال لا في زاد الطريق كان
كافراً للنعمة وان ركب المركوب وانفق المال في الطريق
متزوّداً به كان شاكراً للنعمة لا بمعنى انه انال الملك حظاً
فانه لم يرد في الانعام عليه وفي تكليفه الحضور حظاً
لنفسه ولكن اراد سعادة العبد فاذا وافق مراد السيد
فيه كان شاكراً وان خالف عدّت مخالفته كفراناً والله تعالى
يستوي عنده كفر الكافرين وايمانهم بالاضافة الى جلاله
واستغنائه ولكنه لا يرضى لعباده الكفر فانه لا يصلح
لعباده فانه يشقيهم كما لا يرضى الطبيب هلاك المرضى
ويعالجهم ولا يرضى الملك المستغني عن عبده لعبده
الشقاوة بالبعد عنه ويريد له السعادة بالقرب منه
وهو غني عنه قرب او بعد فهكذا ينبغي ان يفهم التكاليف
فان الطاعات ادوية والمعاصي سموم وتاثيرها في القلوب
ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم كما لا يسعد بالصحة

مطلب نفيس
وتحقيق انيس

يظهر من هذا التحقيق معنى قولهم
خدمة الملوك نصف السلوك

الا من اتى بمزاج معتدل وكما يصح قول الطبيب للمريض
قد عرفت ما يضرك وما ينفعك فان وافقتني فلنفسك
وان خالفت فعليها كذلك قال تعالى من اهتدى فانما
يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها واما العقاب
على ترك الامر وارتكاب النهي فليس العقاب من الله تعالى
غضباً وانتقاماً ومثال ذلك ان من غادر الوقاع عاقبه
الله تعالى بعدم الولد ومن ترك ارضاع الولد عاقبه الله تعالى
بهلاك الولد ومن ترك الاكل والشرب عاقبه بالجوع
والعطش ومن ترك تناول الادوية عاقبه بالم المرض
وغضب الله تعالى عبارة عن ارادة الايلام وكما ان الاسباب
تتادى بعضها الى بعض في الدنيا بترتيب مسبب الاسباب
فبعضها يفضي الى الآلام وبعضها الى اللذات ولا يعرف
عواقبها الا الاطباء فكذلك نسبة الطاعات والمعاصي الى
آلام الآخرة ولذاتها من غير فرق فالسؤال عن انه لم يفضي
المعصية الى العقاب كالسؤال عن انه لم يهلك الحيوان

عن السم ولم يؤد السم الى الهلاك ولم خلق جسد
الانسان على وجه ينفعل فيه السم اثرا وينفعل البدن
عنه وهو لا ينفعل عن البدن فكذلك الكلام فى انه
لم خلق الله تع نفس الانسان على وجه يكملها ويخيرها
الفضائل ويهلكها الرزائل هذا والله تع غير عاجز عن
الاشباع من غير اكل والارواء من غير شرب والانشاء
من غير مصاحبة ووقاع والانماء من غير رضاع ولكنه
سبحانه وتع قد رتب الاسباب والمسببات ولذلك
سر وحكمة لا يعلمها الا الله والراسخون فى العلم وليس
هذا بعجب وانما التعجب من هذا التدبير المحكم والنظام
المتقن ولعمرى ان من لا يهتدى الى سر الحكمة فيه يتعجب
منه بقصور هدايته ولو كان كذلك لضاع حظ النبات
والحيوانات واقربها الى الاعتدال مثل الغنم والدراج
والدجج وغيرها وكمال النبات ان يصير غذاء لما هو اعلى منه
متشابها به وهذا كماله وكذلك نسبة الحيوانات المذبوحة

الى الانسان ونسبة الانسان الى الملئكة فى جنات عدن
كما قال الله تع والملئكة يدخلون عليهم من كل باب و
اما كون بعض الحيوانات العجم غذاء لبعض السباع الضارية
ففى السباع الضارية منافع وفوايد سياسية وطبية
يعرفها ارباب السياسة والاطباء ومثال من يتعجب
من هذه الاشياء على ترتيب النظام الكلى على موجب
تقدير الله العزيز العليم كمثل الاعمى الذى دخل دارا فيعثر
بالاوانى الموضوعة فى صحن الدار فقال لاهل الدار ما ارذل
عقولكم لماذا لا تردون هذه الاوانى الى مواضعها ولم
تركتموها على الطريق فقيل له انها موضوعة فى مواضعها
وانما الخلل من فقد البصر وكمثل الاخشم الذى لا يدرك
الروايح فيلوم واضع اللخالخ والمثلثات والفواكه العطرة
الطيبة بين يديه وقال هذا قد شغل المكان فقط فقيل
له فى العود فايدة سوى اتخاذه على جهة الحطب وانما المانع
من ادراكه هو الخشم وههنا مباحث اخر منها ان الحكيم تع

كيف يأمر بالشيء ويمنع عن البحث عنه والبصيرة لا
تحصل الا بالبحث وهذا تعجب فاسد فان العمل يستدعي
اعتقادًا جازمًا او معرفة حقيقية والاعتقاد
الجازم يعرف بالتقليد المجرد على سبيل التصديق والايمان
والمعرفة تحصل بالبرهان والوصول اليها بالبحث ولم
يمنع عن البحث الخلائق كلهم الا الضعفاء العاجزون عن
الاطلاع على حقائق البراهين ومعضلات البحث
ومثال ذلك الطبيب الذي يأمر العليل بشرب الدواء و
يمنعه عن البحث في سبب هذا الدواء شافيًا فانه تعصر
عنه فهمه ويشق عليه ويعجز عنه ويزيد المرض به ويستضر
منه فان وجد على سبيل الندور مريضًا ذكيًا سالكًا منهج
الطب وعلل الامراض لم يمنعه من البحث ولم يمنعه عن ذكر
المناسبة بين دوائه وبين علته بل اذا علم انه ليس
يؤمن بمجرد قوله وليس يقلد محض التقليد لما خص به من الذكاء
وما يفهم به العلة وعلم انه اذا فهم العلة والمناسبة

اشتغل بالعلاج وان لم يكن يفهم اعرض عن التقليد وجب
عليه ذكر المناسبة والعلة ولم يمنع من البحث اذا علم استقلاله
به الا ان ذلك نادر في المرضى جدًا والاكثرون يضعفون
عن ذلك فكذلك معرفة العلل والاسرار والبحث عنها
في الشرعيات من هذا القبيل واما تسخير البهائم للانسان
مثل من يمشي خطوات مثلا ينظر الى متنزهات ووجوه
حسان فيقال له اتعب رجله وسخرها لاجل عينه و
العين آلة كما ان الرجل آلة فما بال احدهما جعلها خادمة
واتعبها وجعل الاخرى مخدومة وطلب راحتها وهذا
جهل بالاقدار والمراتب بل العاقل يعلم ان الكامل ابدًا
يفدى بالناقص وان الناقص يستسخر لاجل الكامل وهو
عين الحكمة وليس ذلك بظلم فان الظلم هو التصرف في ملك
الغير والله تعالى لا يصادف لغيره ملكًا حتى يكون تصرفه
فيه ظلمًا فلا يتصور منه الظلم بل له ان يفعل ما يشاء في ملكه
ويكون عادلًا والوحي الالهي والشرع الحق لا يرد بما ينبو عنه

العقل فان اراد بنبو العقل ان برهان العقل يدل
على استحالته كخلق الله تع مثل نفسه او الجمع بين المتضادين
فهذا لا يرد به الشرع وان اراد به ما يقصر العقل عن ادراكه
ولا يستقل بالاحاطة بكنهه فهذا ليس بمحال ان يكون في علم
الاطباء مثلا جذب المغناطيس للحديد وان المرأة لو مشت
فوق حية مخصوصة القت الجنين وغير ذلك من الخواص و
هذا مما ينبو عنه العقل بمعنى انه لا يقف على حقيقته ولا
يستقل بالاطلاع عليه ولا ينبو عنه بمعنى الحكم باستحالته
وليس كل ما لا يدركه العقل محالا في نفسه بل لو لم نشاهد
قط النار واحراقها فاخبرنا مخبر وقال اني احك
بخشبة واستخرج من بينهما شيئا احمر بمقدار عدسة تأكل
هذه البلدة واهلها حتى لا يبقى منه شيء من غير ان ينتقل
ذلك الى جوفها ومن غير ان يزيد في جوفها بل تأكل جميع
البلد ثم تأكل نفسها ولا تبقى هي ايضا ولا البلد لكنا
نقول هذا الشيء ينبو عنه العقل ولا يقبله وهذه صورة

النار

النار والحس قد صدق ذلك وكذلك قد يشتمل الشرع على مثل
هذه العجايب التي ليست مستحيلة وانما هي مستبعدة و
فرق بين البعيد والمحال فان البعيد هو ما ليس بمألوف
والمحال ما لا يتصور كونه وانما معنى قول الله تع لا يسئل عما
يفعل وهم يسئلون وقوله تع لم حشرتني اعمى وقد كنت
بصيرا فالسؤال قد يطلق والمراد به الالزام تقال ناظر فلان
فلانا وتوجه عليه سؤاله وقد يطلق ويراد به الاستخبار
كما يسأل التلميذ استاذه والله تع لا يتوجه عليه السؤال
بمعنى الالزام وهو المعنى بقوله تع لا يسأل عما يفعل وهم
يسئلون اذ لا يقال له لم قول الالزام فاما ان لا يستخبر و
لا يستفهم فليس كذلك وهو المراد بقوله تع لم حشرتني اعمى
وقد كنت بصيرا وهذا القدر كاف في جواب هذه الاسولة
ومن ترقى عن محل التقليد بادنى كياسته ولم ينته الى رتبة
الاستقلال كان من الهالكين فنعوذ بالله من كياسة
لا تشفع فان الجهالة ادنى الى الخلاص والنجاة منها ولم ار

فصل في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام
اذا عرفت انك حادث وان الحادث لا يستغني عن محدث
فقد حصل لك البرهان على الايمان بالله تع وما اقرب الى
العقل هاتين المعرفتين اعني انك حادث وان الحادث لا
يحدث بنفسه واذا عرفت نفسك وانك جوهر خاصيتك
معرفة الله تع ومعرفة ما ليس بمحسوس وليس بالبدن قوام
ذاتك فانهدام البدن لا يعدمك فقد عرفت اليوم الآخر
بالبرهان فانه لا معنى له الا ان لك يومين يوما حاضرا
انت مشغول بهذا البدن ويوم آخر انت فيه مفارق
لهذا الجسد واذا لم يكن قوامك بالجسد وقد فارقته بالموت
فقد حضر اليوم الآخر واذا عرفت انك اذا فارقت المحسوسات
بمفارقة الجسد لقيت اما نعمة هي معرفة الله تع التي هي خاصيتك
ذاتك ومنتهى لذاتك بمقتضى طبعك الاصلي لو لم تمرض
بالميل الى الشهوات واما عذابا بالحجاب عن الله تع الذي
هو منتهى شهوتك من حيث الطبع الاصلي كما قال تع

وحيل بينهم وبين ما يشتهون واذا عرفت ان سبب
المعرفة الذكر والفكر والاعراض عن غير الله وسبب المرض
المانع عن معرفة الله تع الاقبال على الشهوات والحرص على الدنيا
وعرفت ان الله تع قادر على ان يعرف عموم عباده ذلك
بواسطة الكشف لبعض خواص عباده وعرفت انه قد
فعل ذلك فقد عرفت رسله بالبرهان وآمنت واذا عرفت
ان هذه التعريفات للانبياء انما يكون في كسوة الفاظ و
عبارات يوحى اليهم ويلقى في سمعهم اما في يقظة او منام
فقد امنت بالكتب واذا عرفت ان افعال الله تع منقسمة
الى ما فعله بواسطة والى ما فعله بغير واسطة وان وسائط
مختلفة المراتب والوسائط القريبة هم المقربون وعنهم يعبر
بالملائكة لكن معرفة هذا بطريق البرهان عسير والقول فيه طويل
فصدق الرسل في اخبارهم عنهم بعد ان عرفت صدق الرسل
بالبرهان واكتف بذلك فانه درجة من درجات الايمان
ويرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات

فصل كل ما يتوالد فلا يستحيل ان يتولد اصلًا
وما يتولد لا يستحيل ان يولد فقوله تع انا خلقنا الانسان
من نطفة انما عنى به الانسان التوالدى وقوله تع خلقناكم
من تراب عنى به الانسان التولدى وقد يتولد العقارب
من الباذروج ولباب الخبز والحيات من العسل و
النحل من العجل المنخنق المنكسرة عظامه والبق من الخل و
سام ابرص من القنبيط والخنافيس من البعر ومن نوى النبق
العقرب الجراره ومن الشعر الحيات ومن الطين والمدر
الفار ومن طين اصول القصب الدايم الرطوبة الطير و
لاستيماطير الماء وامثال ذلك كما ذكر فى كتب الطلسمات وغيرها
ثم يتوالد هذا المتولد ويبقى نوعه بالتوالد وانطباق دايرة
معدل النهار على فلك البروج مما يدل على خراب العالم
وتغيره وفناء الفصول اعنى الربيع والخريف والصيف و
الشتاء فلا يبقى فى ارض دائر ويخرج العصافير من الطين
ويطير ويصاد وما لا يصاد يبيض ويفرخ ولا يبقى الحرث

والنسل كما قال تع كل من عليها فان يعنى على الارض
فخلق الله تع آدم من تراب ثم حصل منه التوالد ونظير
ذلك مشاهد وكذا الصنايع والحرف تحصل من طريق
الالهام ثم يستفاد ويتعلم وتحصل النار من المقدحة
والزند ثم تقتبس بعد حصولها ذلك تقدير العزيز العليم
الذي خلق عند انفراج الدائرتين معدل النهار وفلك
البروج الذى تتزايد الميل الذي بينهما آدم من تراب ثم
جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سويه ونفخ فيه
من روحه فمن شك فى كيفية بدء الخلق وصنع الصانع
الحكيم فى التولد والتوالد فلينظر الى المحسوسات التى ذكرناها
واما النشاة الاخرى وكيفية عود النفس وارواحها
الى اشباحها فمذكور فى بابها ان شاء الله تع

فصل المبدعات والمخلوقات احدثها الله تع نازلة بالترتيب
فهو الاول الذى لا اول قبله ومنه تحصل المبدعات بل
الممكنات باسرها ثم ينزل الترتيب من الاشرف الى الاشرف

حتى ينتهى الى المادة هى اخس الاشياء ثم ابتداء تع من
الاخس الى الاشرف حتى انتهى الى الانسان ويعود
الانسان عند زكاء نفسه الى حيث قال تع ارجعي الي
ربك راضية مرضية وكذلك قوله تع هو الاول والآخر
والظاهر والباطن اما الظاهر فمركوز فى غرائز العقول
ان للكل مبدأً وان للحادث محدثا وللممكن موجدا واجبا
واما الباطن فلان وصفه الخاص لا يعرفه الا هو وربما كان
باطنا لغاية ظهوره كما ان الشمس التى هى فى غاية البعد
عن هذا المثال ظاهرا باهرا وبسبب غاية ظهورها لا يدركها
الحاسة المبصرة محاذاة ومقابلة والميزان ما يعرف به
حقائق الاشياء ويميز به صحيح العقيدة من الفاسدة
وهو الواسطة بين السماء والارض حيث قال تع والسماء
رفعها ووضع الميزان الا تطغوا فى الميزان واقيموا الوزن
بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام
وذلك سر من اسرار الربوبية لا يعرفه الا الراسخون في

العلم والله اعلم **الركن الثانى فى معرفة الملائكة** الملائكة
والجن والشياطين جواهر قائمة بانفسها مختلفة بالحقائق
اختلافا يكون بين الانواع مثال ذلك القدرة فانها
مخالفة للعلم والعلم مخالف للقدرة وهما مخالفان للون
واللون والقدرة والعلم اعراض قائمة بغيرها وكذلك
بين الملك والجن والشياطين اختلاف ومع ذلك فكل
واحد جوهر قايم بنفسه وقد وقع الاختلاف بين الملك
والجن ولا يدرى انه اختلاف بين النوعين كالاختلاف
بين الفرس والانسان او الاختلاف بالاعراض كالاختلاف
بين الانسان الناقص والكامل وكذا الاختلاف بين
الملك والشيطان ويمكن ان يكون النوع واحدا والاختلاف
واقع بالعوارض كالاختلاف بين الخير والشرير والاختلاف
بين الولي والنبي والظاهر ان اختلافهم بالنوع والعلم
عند الله تع وهذه الجواهر المذكورة لا ينقسم اعني ان محل
بالله واحد لا ينقسم فان العلم الواحد لا يحل الا فى محل واحد

وحقیقة الانسان کذلک فالعلم والجهل بشیٔ واحد فی

حالة واحدة متضادان وفی المحلین غیر متضادین و

اما ان هذا الجوهر غیر منقسم فهل هو متحیز ام لا فهذا الکلام

عاید الی معرفة الجزء الذی لا یتجزی فان استحال الجزء الذی

لا یتجزی فهذا الجوهر غیر منقسم ولا متجز ولا متحیز وان لم

یستحل الجزء الذی لا یتجزی ممکن ان یکون هذا الجوهر متحیزاً

او غیر متحیز قال قوم لا یجوز ان یکون غیر منقسم ولا متحیز

لان الله تع غیر منقسم ولا متحیز فما الذی یفصل هذا عن ذاک

وهذا غیر مبرهن لانه ربما تباینا فی حقیقة الذات وان

سلب عنهما الانقسام والتحیز والامور المکانیة وتلک

سلوب والاعتبار بالحقایق لا بما یسلب عن الحقائق

کالعرضین المختلفین بالحد والحقیقة الحالین فی محل فان

ایجاب احتیاجهما الی المحل وکونهما فی المحل لا یفید تماثلهما

فکذلک سلب الاحتیاج الی المحل والمکان لا یفید اشتراک

الشیئین ویمکن ان یشاهد هذه الجواهر اعنی جواهر

الملائکة وان کانت غیر محسوسة وهذه المشاهدة علی

ضربین اما علی سبیل التمثل کقوله تع فتمثل لها بشراً سویاً

وکما ان النبی عم رأی جبریل عم علی صورة دحیة الکلبی

والقسم الثانی ان یکون لبعض الملائکة بدن محسوس کما

ان نفسنا غیر محسوسة ولها بدن محسوس هو محل تصرفها

وعالمها الخاص به فکذلک لبعض الملائکة وربما کان

هذا البدن المحسوس موقوفاً علی اشراق نور النبوة کما

ان محسوسات عالمنا هذا موقوفة عند الادراک علی

اشراق نور الشمس وکذا فی الجن والشیاطین **فصل**

وقوع مزاج قریباً من مزاج آخر غیر مستحیل فنسبة نفس

مزاج واحد هو قریب الی مزاج آخر الی نفس ذلک المزاج

نسبة مقارنة فان کان لانسان مزاج خاص وله نفس

خاصة ثم مات صاحب ذلک المزاج وحدث بعده

مزاج آخر قریب منه وذلک عند الادوار والتشکلات

الفلکیة مثال ذلک حدث مزاج وتشکل الفلک علی

هيئة مخصوصة ثم عادت تلك التشكلات باسرها عودًا
يمكن لها وان لم يكن بالنسبة المخصوصة الى مبداءٍ واحدٍ
فحدث مزاجًا آخر استحق المزاج الحادث نفسًا اخرى
لتلك النفس مع النفس المفارقة التى كانت للمزاج
المناسب له مناسبة تامة ولا تتعلق النفس المفارقة
بهذا المزاج تعليقًا كليًا كاستحالة تصرف نفسين
فى بدنٍ واحد فتتعلق بذلك المزاج تعلقا دون تعلق
تلك النفس الحادثة معه فتزداد خيرًا ان كانت خيرةً
وشرًا ان كانت شريرة لذلك يقال لكل انسان جنيٌ
يشاكله ويعاونه او شيطان يغويه ويضله وان حدث
مزاجان فى زمان واحد فى بدنين او فى مكانين و
حدث لهما نفسان كانتا تربان فى الابدان تربان
وفى النفوس تربان وكل من يكون مناسبة الارواح
المفارقة الى روحه اكثر عذب به من تلك الاتصالات
انواع من الاخلاق فيكون عرافًا كاهنًا او صاحب

تنجيم او غير ذلك وربما كانت القوة الوهمية بعد المفارقة
بحيث يصير لها العالم المحسوس بدنا ولا يتعذر الى
العالم الاعلى فتطالع الاسباب الجزئية فى هذا العالم
فتستفيد النفس البدنية المتصلة بها موفقًا والشرير
منها فى غاية الشر لانه خرجت عن المادة فالشرير شياطين
والخير من الطبقة الناقصة جن وللجن والشياطين
علايق يتمسك بها البشر وافعال روحانية هى مولدات
الافعال الطبعية والخلاص عن المادة دليل كمال
القوة سواء كانت تلك القوة قوة رداءة وقوة خير
واما القاعدون عن اليمين والشمال فقالوا فيهما ما قالوا
والحق ان هذا سرٌ لا يعرفه الا الانبياء المرسلون
صلوات الله عليهم اجمعين وملائكة السموات المدبرون
المتصرفون فى اجرام السموات لا يعلم عدد تلك الاجرام الا الله تع
كما قال تع وما يعلم جنود ربك الا هو وملك الموت هو
الملك الذى امره الله تع بقبض الارواح متضمنا تفريق

المزاج الذي استحق قبول ذلك النفس مثاله مثال مطفى
السراج بالنفخ والنفخ بنفخان نفخ يوقد كما قال الله تع
ونفخ في الصور فصعق من في السموات والارض وقال تع
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون **الركن الثالث**
في المعجزات واحوال الانبياء صلوات الله عليهم
اجمعين تسبيح الحصى وقلب العصا حية تسعى وكلام البهائم
وكلام الشاة التي قالت للنبي عم حين شوتها اليهودية
لا تاكل مني فاني مسمومة وامثال ذلك على ثلثة اقسام
القسم الاول الحسي والثاني الخيالي والثالث العقلي
الاول الحسي وهو ان يخلق الله تع الحيوة والعلم و
القدرة في الحصى حتى يتكلم وفي البهيمة العقل والقدرة و
النطق وليس ذلك بمحال فان الله تع قادر على ان يخلق
في الباذروج حيوة وقدرة وسمعا ويخلق منه عقربا
وكذا في نوى النبق ويخلق من لحوم البقر النحل ومن النطفة
الانسان وساير الحيوانات من موادها فهو قادر بان

على

باعجاز نفس مقدسة نبوية في الحصاة حيوة وقدرة
ومن شاهد خلق الحية النضاضة من شعر امراة وحيض
ذلك ولا يتعجب من قلب الشعرة حية كيف يتعجب من
قلب العصا حية والخشب كان ذا نفس نامية نباتية
والشعر لم يكن قط ذا نفس والاجسام متماثلة فكما جاز
ذلك في اجسام الناس جاز في ساير الاجسام وان
كان الجسم الانساني بسبب اعتدال المزاج قابلا لهذه
الاشياء فكل جسم مستعد لقبول المزاج المعتدل وان كان
الاعتدال موقوفا على الحرارة والرطوبة ليس يمتنع ان يكون
كل جسم قابلا للحرارة والرطوبة ويكون دعاء النبي عم
وهمته يوثران في كينونة هذه الاشياء من غير مهلة ومدة
وان جرت العادة ان يخلق الله تع مثل هذه الاشياء
في مدة فبذلك يظهر شرف الانبياء عم وخرق العادة
ليس بمحال مثال ذلك الشمس والنار فما يحصل من تاثير
الشمس في المايعات وغيرها انما يحصل بمدة وعلى سبيل التدريج

وما يحصل من اسخان النار يكون دفعة فلم استحال ان
يكون مراد الانبياء عم على وجه يكون نسبته نسبة
اسخان النار الى اسخان الشمس والقسم الثاني العقلي و
هو قول الله تع وان من شيء الا يسبح بحمده وهو شهادة
كل مخلوق ومحدث على خالقه وموجده كشهادة البناء
على الباني والكتابة على الكاتب ويقال لذلك لسان
الحال والمتكلمون يقولون هذه دلالة الدليل على المدلول
والحمقى من الناس لا يعرفون هذه الرتبة فلا يقرون بها
والقسم الثالث ان لسان الحال مشاهد محسوس على سبيل
التمثل وهذه خاصية الانبياء والرسل صلوات الله عليهم
اجمعين كما ان لسان الحال يتمثل في المنام لغير الانبياء
ويسمعون صوتا وكلاما كمن يرى في منامه ان جبلا يكلمه
او فرسا يخاطبه او ميتا يعطيه شيئا او يأخذه بيده
او يسلبه منه شيئا او تصير اصبعه شمسا او قمرا او يصير
ظفره اسدا او غير ذلك مما يراه النائم في منامه فالانبيا

عليهم السلام يرون ذلك في اليقظة ويخاطبهم هذه
الاشياء في اليقظة فان المتيقظ لا يميز بين ان يكون
ذلك نطقا خياليا او نطقا حسيا من خارج والنائم انما
يعرف ذلك بسبب انتباهه والتفرقة بين النوم واليقظة
ومن كانت له ولاية تامة بفيض تلك الولاية لسعتها
على خيالات الحاضرين حتى يرون ما رآه ويسمعون ما سمعه
والتمثل الخيالي اشهر في هذه الاقسام والايمان بهذه
الاقسام كلها واجبها واجب **فصل** واما شفاعة
الانبياء عم والاولياء فالشفاعة نور يشرق من الحضرة
الالهية على جوهر النبوة وينتشر منها الى كل جوهر استحكمت
مناسبتها مع جوهر النبوة لشدة المحبة وكثرة المواظبة على
السنن وكثرة الذكر بالصلوة عليهم عم ومثاله نور
الشمس اذا وقع على الماء فانه ينعكس منه الى موضع مخصوص
من الحائط لا الى جميع المواضع وانما يختص ذلك الموضع لمناسبته
بينه وبين الماء في الوضع وتلك المناسبة مسلوبة عن سائر

اجزاء الحائط وذلك الموضع الذي اذا خرج منه خط
الى موقع النور من الماء حصلت منه زاوية تلي الارض
مساوية للزاوية الحاصلة من الخط الخارج من الماء
الى قرص الشمس بحيث لا يكون اوسع منها ولا اضيق
وهذا لا يمكن الا في موضع مخصوص من الجدار فكما ان
المناسبات الوضعية يقتضي الاختصاص بانعكاس النور
فالمناسبات المعنوية العقلية ايضا يقتضي ذلك في
الجواهر المعنوية ومن استولى عليه التوحيد فقد تأكدت
مناسبته مع الحضرة الالهية واشرق عليه النور من غير
واسطة ومن استولى عليه السنن والاقتداء بالرسول (ع م)
ومحبة اتباعه ولم يترسخ (بالرسوخ) قدمه في ملاحظة الوحدانية
لم يستحكم مناسبته الا مع الواسطة فافتقر الى واسطة الماء
المكشوف للشمس والى مثل هذا يرجع حقيقة الشفاعة
في الدنيا بالوزير الممكن في قلب الملك المخصوص بالعناية
قد يقتضي الملك عن جريمة اصحاب الوزير ويعفو عنهم

لا لمناسبة بين الملك واصحاب الوزير لكن لانهم يناسبون
الوزير المناسب للملك ففاضت العناية عليهم بواسطة
الوزير لا بانفسهم ولو ارتفعت الواسطة لم تشملهم العناية
اصلا لان الملك لا يعرف اصحاب الوزير واختصاصهم به
الا بتعريف الوزير واظهاره الرغبة في العفو عنهم ويسمى
لفظه في التعريف واظهار الرغبة شفاعة على سبيل المجاز
وانما التشفيع مكانته عند الملك وانما اللفظ لاظهار الغرض
والله تعالى مستغن عن التعريف ولو عرف الملك حقيقة اختصاص
غلام الوزير لا ستغنى عن اللفظ وحصل العفو شفاعة
لا نطق فيها ولا كلام والله تعالى عالم به فلو اذن للانبياء
صلوات الله عليهم باللفظ بما هو معلوم لله تعالى لكانت الفاظهم
الفاظ الشفعاء واذا اراد الله تعالى ان يمثل حقيقة الشفاعة
بمثال يدخل في الحس والخيال لم يكن ذلك التمثيل الا في
الفاظ مألوفة بالشفاعة ويدل على ذلك انعكاس النور بطريق
المناسبة وان جميع ما ورد من الاخبار عن استحقاق الشفاعة

متعلق بما يتعلق بالرسول عم من صلوة عليه او زيارة
لقبره او جواب المؤذن والدعاء له على عقيبه وغير ذلك
مما يحكم علاقة المحبة له والمناسبة معه **الركن الرابع في**
احوال ما بعد الموت فصل في عذاب القبر
اذا فارقت البدن وكلت القوة الوهمية معها كما ذكرنا ما
تتجرد عن البدن منزهة ليس يصحبها شيء من الهيئات البدنية
وهي عند الموت عالمة بمفارقتها عن البدن وعن دار الدنيا
متوهمة نفسها الانسان الذي مات وعلى صورته كما كان
في الرؤيا تتخيل وتتوهم وتتخيل بدنها مقبورة وتتخيل الآلام
الواصلة اليها على سبيل العقوبات الحسية على ما وردت
به الشرائع الصادقة فهذا عذاب القبر وان كانت سعيدة
متخيلة على صورة ملائمة على وفق ما كان يعتقد من الانهار
والجنان والحدائق والغلمان والولدان والحور العين
والكاس من المعين فهذا عذاب القبر نعيم فلذلك قال النبي عم
القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران

فالقبر الحقيقي هذه الهيئات كما يخرج الجنين من القرار
المكين كما قال تع قل يحييها الذي انشاها اول مرة و
هو بكل خلق عليم وعذاب القبر وثوابه ما ذكرناهما و
النشاة الاخرى خروج النفس عن غمار هذه الهيئات
وقوله تع الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه
توقدون دليل ظاهر ومثال مبين لهذه النشاة
فصل قول النبي عم من مات فقد قامت قيامته
الفاء ههنا للتعقيب معناه قامت قيامة الميت عند
موته مثال ذلك من سرق نصابا كاملا من حرز فقد استحق
قطع يده وهذا تعقيب لا يتاخر عن هذا الفعل وقال تع
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة
فقد باء بغضب من الله وللقيامة الكبرى ميعاد عند الله تع
لا يجليها لوقتها الا هو وعلمها عند الله تع والاوقات
والازمنة وان كانت فيها تشابه فلكل واحد منها خواص
ببعض انواع الوجود يعتبر ذلك في اوقات الحرث والنسل

وغيرهما وعند المتكلمين مرجع ذلك الى مشية الله تع فانه
تعالى يخصص وقتا يوجد فيه موجودا بارادته ومشيته
والفلاسفة يقولون ان مبادي الحوادث حركات الافلاك
وان ادوارها تختلف وكل تشكل من تشكلاته يباين غيره
من التشكلات مقرر ذلك في براهين اقليدس ان كل تشكل
وكل عدد من تلك التشكلات لايعود بعينها وبذلك
يبطلون دعوى المنجمين في التجربة لكل عود تشكل من تشكلات
الفلك فيجوز ان يتجدد دورما بين بساير الادوار تحدث
فيها حيوانات غريبة الشكل لم ير مثلها قبلها قط واذا
القينا حجرا في الماء يحدث منها شكل مستدير يكون استدارة
هذا الشكل مناسبا لعمقه فكلما ازداد عمقه ازدادت
تلك الدائرة فاذا القينا حجرا آخر قبل تمام تلك الدائرة لم
يلزم ان يكون حركة الماء في النوبة الثانية كحركته في النوبة
الاولى لان الماء في الاولى ساكن وفي الاخرى متحرك
فان تشكيل الحجر للمتحرك خلاف تشكيله للساكن فيختلف

الاشكال مع تساوي الاسباب لامتزاج اثر السابق
باللاحق ويجب ان تشكل المتحركة وافقا تشكلا آخر فيجب
للمتحرك وافق
يكون مقومات الثوابت والاوجات وساير الجوزهرات
على مثل ما كان عليه في التشكل الاول فلا يستحيل ان يكون
في التقدير الازلي للادوار دور يخالف هذه الادوار
بظاهر الوجود مستمرا في جنسه فيكون ميعاد القيمة الكبرى
حصول ذلك الشكل الغريب من الاسباب العالية فيكون ذلك
سببا كليا جامعا لجميع الارواح فيقوم حكمها كافة الارواح
فيعم
فيكون قيامة عامة مخصوصة بوقت لايتسع القوة البشرية
لمعرفتها اعني لمعرفة وقتها ولا الانبياء المرسلون صلوات
الله عليهم اجمعين فان الانبياء ايضا يكشف لهم ما يكشف
على قدر احتمالهم وقبولهم فاذا لم يقم برهان كلامي ولا
فلسفي على استحالته وجب التصديق به اذا ورد الشرع به
تصريحا لا يتطرق اليه الاحتمال والتاويل وقد صرح الشرع
به تصريحا ضروريا يجب الايمان به ولا يمكن تاويله وكما

جاز ان يحدث دور وتشكل يحدث بسببه انواع من
الحيوانات لم تعهد مثلها فكذلك يجب ان يحدث زمان
يحشر فيه الموتى ويجمع اجزاؤهم وتعود الى اشباحهم ارواحهم
فكما ان الجاهل يتأمل فصل الشتا ويتعجب ان يحصل فيه
نبات وثمار واذا ورد فصل الربيع عاين ذلك وبين
زماني الفصلين بعد في هذه الدار فكذلك بين زمان
نشأة الاولى التي يحصل الانسان بالتناسل وزمان
النشأة الاخرى التي يحصل الانسان فيها بالاحياء والاعادة
بون بعيد لا يقاس احدهما على الثاني **فصل** عود
النفس الى الجسد بعد مفارقتها امر ممكن غير مستحيل
ولا يمكن ان يتعجب منه بل التعجب من تعلق النفس بالبدن
في اول الامر اظهر من تعجب عودها اليه بعد المفارقة و
تأثير النفس في البدن تأثير فعل وتسخير ولا برهان على
استحالة عود هذا وصيرورة هذا البدن مستعدا مرة
اخرى لقبول تأثيره وتسخيره بقي ههنا تعجب من ضعفاء

العقول وهو ان ذلك الاستعداد الانساني يحصل قليلا
قليلا بالتدريج من نطفة في قرار مكين ثم من علقة الى
تمام الخلقة واذا لم يكن كذلك لا يقبل استعداد قبول
التسخير ورفع البنوت انا قد بينا ان ما هو ممكن حدوثه
بالتدريج ممكن حدوثه دفعة في الثاني وبالتوالد انما يكون
بالتدريج اما التولد فلا يكون بالتدريج المحسوس الا ترى
ان الفار الذي يتوالد يكون بالتدريج وباجتماع الذكر و
الانثى وبعد حمل وسفاد وان التولدي منه يكون دفعة
فانه لم يوجد قط مدر ولا تراب بعضه فار وبعضه بالقوة
قريب الى حجم الفار فكذا الذباب التي يتولد في الصيف
من العفونات يكون دفعة ولم توجد عفونة تغيرت
عن حالها وصارت بالقوة قريبة الى الذباب بل يستحيل
ذبابا من غير مهلة وتدريج والنشأة الثانية تولدية من
تلك الاجزاء التي كانت في الاصل وان تفرقت في الخلعة
بعض صورها فيرد الله تعالى واهب الصور تلك الصور

و دفع هذا التعجب

الی موادها وتحصل المزاج الخاص مرة اخری ولها
نفس حدثت عند حدوث ذلک المزاج ابتداء فیعود
بالتسخیر والتصرف الیها مع العلاقة التی بینهما مثال ذلک
راکب السفینة غرقت سفینته وتفرقت اجزاوها وانتقل
الراکب بالسباحة الی جزیرة ثم ترد تلک الاجزاء بعینها الی
الهیئة الاولی وتوطد وتوکد عاد الیها راکب السفینة
واجزاها وتصرف فیها کما شاء، ولا یجب ان یستحق
هذا الحشر وجمع الاجزاء والمزاج المجدد نفسا اخری فان
حدوث مزاج یستحق حدوث نفس له اما عود المزاج
الی الحالة الاولی واما ظن من ظن ان الاجزاء الارضیة
لا تفی بذلک فظن ووهم لا اعتبار بهما فمن قاس الانسان
والاجزاء الارضیة التی فیه باجزاء الارض وای مهندس
استخرج بالمساحة ذلک الحد واما الاختلاف الراجع
فی ذلک الکتب الالهیة فی التوریة ان اهل الجنة
یمکثون فی النعیم خمسة عشر الف سنة ثم یصیرون

التوطد التثبت

ملائکة وان اهل النار کذا او ازید ثم یصیرون
شیاطین وفی الانجیل ان الناس یحشرون ملئکة لا یطعمون
ولا یشربون ولا ینامون ولا یتوالدون وفی القرآن
ان الناس یحشرون کما خلقهم الله تع اول مرة کما قال تع
فسیقولون من یعیدنا الآیة وسؤال ابراهیم عم الله تع
رب ارنی کیف تحیی الموتی وقول عزیر عم حکایة عنه
انی یحیی هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ومکث
اصحاب الکهف وقول الله تع وکذلک بعثناهم لیعلموا
ان وعد الله حق والدلائل علی ان هذه النشأة کائنة ممکنة
یجب الایمان بها وکان فی قدیم الدهر فیها اختلاف الناس
والانبیاء عم یثبتون تلک بالبراهین والامثلة المحسوسة
والتعجب من النشأة الاولی اکثر من النشأة الاخری
الا ان النشأة الاولی محسوسة مشاهدة معتادة یسقط
التعجب فانا لو سمعنا ان انسانا حرک نطفة فی امرأة
مرارا کما یحرک المخیض خرج من بعض اجزائه شیء مثل زبد

سيال فيختفي ذلك الشيء في بعض اعضاء المرأة و يبقى مدة
على هذه الحالة ثم يصير علقة ثم العلقة يصير مضغة
ثم المضغة يصير عظاما ثم يكسى العظام لحما ثم تحصل
فيه الحركة ثم يخرج من موضع لم يعهد خروج شيء منه على
حالة لا يهلك امه ولا يشق عليها ولادته ثم يفتح
عينيه ويحصل في ثدي الام شراب مائع شيء لم يكن قبل
ذلك فيها ويتغذى بها الطفل الى ان يصير هذا الطفل
بالتدريج صاحب صناعات واستنباطات بل ربما يكون هذا
الذي اصله نطفة وهو عند الولادة اضعف خلق الله تع
عن قريب ملكا جبارا قهارا يملك اكثر العالم ويتصرف
فيه فان العجب من ذلك اكثر واوفر من التعجب من النشأة
الاخرى والاصل ان كل شيء لم يشاهده الانسان
ولم يعرف سببه يحصل له منه التعجب والتعجب بعده
يحصل للانسان عند مشاهدة شيء لم يشاهده قبل
او سماع شيء لم يعرف سببه ولم يسمعه قبل **فصل**

تعلق النفس بالجسد كالحجاب لها عن حقايق الامور و
بالموت ينكشف الغطاء كما قال الله تع فكشفنا عنك
غطاءك ومما ينكشف له تاثير اعماله فيما يقربه الى الله و
يبعده وهي مقادير تلك الآثار فان بعضه اشد تاثيرا
من البعض في قدرة الله تع ان يجري سببا يعرف الخلق
في لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة الى تاثيرها
في التقريب والابعاد فحد الميزان ما يتميز به الزيادة من
النقصان ومثاله في العالم المحسوس مختلف فمنه الميزان
المعروف ومنه القبان للاثقال والاصطرلاب لحركات
الافلاك والاوقات والمسطرة لمقادير الخطوط و
العروض لمقادير حركات الاصوات فالميزان الحقيقي اذا مثله
الله تع للحواس مثله بما شاء من هذه الامثلة او غيرها
وحقيقة الميزان وحده موجود في جميع ذلك وهو ما يعرف
به الزيادة من النقصان وصورته يكون موفورة للحس
عند التشكيل وللخيال عند التمثيل والله اعلم بما يقدر من

صنوف التشكيلات والتصديق به واجب

فصل

والحساب جمع متفرقات المقادير وتعريف مبلغها ومامن
انسان الا وله اعمال متفرقة نافعة وضارة ومقربة و
مبعدة لا يعرف قدرها ولا يحصره آحاد متفرقاتها فاذا
احصرت المتفرقات وجمع مبلغها كان حسابا فان كان
في قدرة الله تع ان يكشف في لحظة واحدة للعالمين
متفرقات اعمالهم ومبلغ آثارها فهو اسرع الحاسبين و
معلوم ان في قدرته ذلك فاذا هو اسرع الحاسبين
قطعا وسئل امير المؤمنين علي بن ابي طالب رض كيف
يحاسب الله الخلق في لحظة من غير تشويش وغلط فقال
رضي الله عنه كما يرزقهم مع سائر الحيوانات بلا تشويش و
غلط

فصل

والصراط عبارة عما لا مناسبة بين
دقته ودقة الشعر وحدته وحدة السيف فهو في
الدقة مثل الخط الهندسي والصراط المستقيم عبارة عن
الوسط الحقيقي بين الاخلاق المتضادة كذلك قد
بيّنا الله تع بهذا الدعاء في سورة الفاتحة حيث قال
اهدنا الصراط المستقيم وقال تع في حق المصطفى صلعم
وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال صلعم انما بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق وقال تع في شانه وانك لعلى
خلق عظيم مثال ذلك السخاوة بين التقتير والتبذير و
الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن والتواضع
بين التكبر والدناءة والعفة بين الشهوة والخمود فهذه
الاخلاق طرف افراط وطرف تقصير وهما مذمومان و
الوسط ليس من الافراط ولا من التقصير فهو على غاية النقعة
من كل طرف فلذلك قال عم خير الامور اوسطها و
مثال ذلك وسط الخط الهندسي الفاصل بين الشمس و
الظل لا من الظل ولا من الشمس والتحقيق في ذلك ان كمال
الآدمي في المشابهة بالملائكة وهم منفكون عن هذه الاوصاف
المتضادة وليس في امكان الانسان الانفكاك عنها
بالكلية فكلفه الله ما يشبه الانفكاك وان لم يكن حقيقة

الانفكاك وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا
بارد والعودي لا ابيض ولا اسود فالبخل والتبذير
من صفات الانسان والمقتصد السخي كانه لا يبخل ولا
يبذر فالصراط المستقيم هو الوسط الحق بين الطرفين
الذى لا ميل له الى احد الطرفين وهو ادق من الشعر فالذي
يطلب غاية البعد من الطرفين يكون على الوسط ولو
فرضنا حلقة حديدة محماة بالنار وقعت نملة فيها
وهي تهرب بطبعها من الحرارة ولا تموت الا على المركز لانه
الوسط الذى هو غاية البعد من المحيط المحرق وتلك النقطة
لا عرض لها فاذا الصراط المستقيم هو الوسط بين الطرفين
ولا عرض له وهو ادق من الشعر ولذلك خرج عن القدرة
البشرية فلا جرم يرد امثالنا النار بقدر ميله عنه كما قال تع
وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا وقال تع
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا
تميلوا كل الميل فان العدل بين المرأتين في المحبة والوقوف

الوقوف عليه

على درجة متوسطة لا ميل فيها الى احدهما كيف يدخل تحت
الامكان فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم
الذى حكى الله تع حقيقته عن النبي عم وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه مر على صراط الاخرة مستويا من غير ميل
وجاء في الحديث يمر المؤمن على الصراط كالبرق الخاطف

فصل اللذات المحسوسة الموعودة في الجنان من
اكل وشرب ونكاح يجب التصديق بها لامكانها وهي
كما تقدم حسية وخيالية وعقلية اما الحسية فبعد رد الروح
الى الجسد كما ذكرناه واما الكلام في ان بعض هذه اللذات
مما لا يرغب فيها مثل اللبن والاستبرق والطلح المنضود
والسدر المخضود فهذا مما خوطب به جماعة يعظم ذلك في
اعينهم ويشتهونه غاية الشهوة وفي كل صنف وكل
اقليم مطاعم ومشارب وملابس تختص بقوم دون قوم و
لكل واحد في الجنة ما يشتهيه كما قال تع ولكم فيها ما تشتهي
انفسكم ولكم فيها ما تدعون وربما يعظم الله تع في الآخرة

شهوة لا تكون تلك الشهوة معظمة في دار الدنيا كالنظر
الى ذات الله تع فان الشهوة والرغبة الصادقة فيها
في الاخرة دون الدنيا واما الخيالي فلذته كما في النوم
الا انه مستحقر لانقطاعه عن قريب فلو كانت دائمة لم
يدرك فرق بين الخيالي والحسي لان التذاذ الانسان
بالصور من حيث انطباعها في الخيال والحس لا من حيث
وجودها من خارج فلو وجد من خارج ولم يوجد في
بالانطباع فلا لذة ولو بقي المنطبع في الحس وعدم الخارج
لدامت اللذة وللقوة المتخيلة قدرة على اختراع الصور
في هذا العالم الا ان صورها المخترعة متخيلة وليست
محسوسة ولا منطبعة في القوة الباصرة فلذلك لو اخترع
صورة جميلة في غاية الجمال وتوهم حضورها ومشاهدتها
لم يعظم لذته لانه ليس يصير مبصرا كما في النوم فلو كانت له
قوة على تصويرها في القوة المتخيلة لعظمت لذته ونزلت
منزلة الصورة المأخوذة من خارج ولا يفارق الآخرة

في القوة الباصرة كما له قوة على تصويرها

الدنيا في هذا المعنى الا من حيث كمال القدرة على تصوير
الصورة في القوة الباصرة وكل ما يشتهيه فيحضر عنده
في الحال فيكون شهوته سبب تخيله وتخيله سبب
لابصاره اي سبب انطباعه في القوة الباصرة ولا يخطر
بباله شيء يميل اليه الا ويوجد في الحال اي موصوله
بحيث يراه واليه الاشارة بقوله عم ان في الجنة سوقا
يباع فيه الصور والسوق عبارة عن اللطف الالهي
الذي هو منبع القدرة على اختراع الصورة بحسب المشية
وانطباع القوة الباصرة به انطباعا ثابتا الى دوام
المشية لا انطباعا هو معرض الزوال من غير اختيار كما
في النوم في هذا العالم وهذه القدرة اوسع واكمل من
القدرة على الايجاد خارج الحس لان الموجود خارج
الحس لا يوجد في مكانين واذا صار مشغولا باستماع
واحد ومشاهدته ومماسته صار مشغوفا به محجوبا
عن غيره واما هذا فيتسع اتساعا لا ضيق فيه ولا منع

حتی لو اشتهی مشاهدة الشيء مثلا الف شخص فی الف
مكان فی حالة واحدة لشاهدوه كما خطر ببالهم فی اماكنهم
المختلفة واما الابصار الحاصل عن شخص الشيء الموجود
من خارج الحس لا يكون الا فی مكان واحد وحمل امر الآخرة
على ما هو اوسع واتم للشهوات واوفق بها اولی ولا
ينقص عن رتبتها فی الوجود واما الوجه الثالث فهو الوجه
العقلی ان تكون هذه المحسوسات امثلة للذات العقلية
التی ليست بمحسوسة لكن العقليات تنقسم الی انواع كثيرة
مختلفة اللذات كالحسيات فتكون الحسيات امثلة لها وكل
واحد تكون مثالا للذة اخری مما رتبته فی العقليات توازی
رتبة المثال فی الحسيات فانه لو رأی فی المنام الخضرة
والماء الجاري والوجه الحسن والانهار المطردة باللبن
والعسل والخمر والاشجار المزينة بالجواهر واليواقيت
واللآلي والقصور المبنية من الذهب والفضة و
والاسرة المرصعة لكان المعبر لا يحمله على نوع واحد

بل يحمل كل واحد على نوع آخر من السرور وقرة العين
يرجع بعضه الى سرور العلم وكشف المعلومات وبعضه
الى سرور المملكة ونفاذ الامر وبعضه الى قهر الاعداء
وبعضه الى مشاهدة الاصدقاء وان شمل الجميع اسم
اللذة والسرور فهی مختلفة المراتب مختلفة الذوق لكل
واحد مذاق يفارق الآخر فكذلك اللذات العقلية
ينبغي ان تفهم كذلك وان كانت مما لا عين رأت و
لا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فجميع هذه الاقسام
ممكنة فيجوز ان يجمع بين الكل ويجوز ان يكون نصيب كل
واحد بقدر استعداده فالمشعوف بالتقليد والجمود
على الصور الذی لم ينفتح له طرق الحقائق تمثل له هذه
الصورة والعارفون المستقصرون لعالم الصور و
اللذات العقلية ما يليق بهم ويشفي شرههم وشهوتهم
اذ حد الجنة ان فيها لكل امرئ ما يشتهيه فاذا اختلفت
الشهوات لم يبعد ان يختلف العطيات واللذات والقدرة

واسعة والقدرة البشرية عن الاحاطة بمجاري القدرة قاصرة
والرحمة الالهية القت بواسطة النبوة الى كافة الخلق
القدر الذي احتملته افهامهم ويجب التصديق بما فهموه
والاقرار بما وراء منتهى الفهم من امور يليق بالكرم الالهي
ولا يدرك بالفهم البشري وانما يدرك في مقعد صدق
عند مليك مقتدر

فصل

واما التوسل بمشاهد
الانبياء والائمة صلوات عليهم فان المقصود من الزيارة
الاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من ارواح
والائمة والعبارة عن هذا الامداد الشفاعة وهذا يحصل
من جهتين الاستمداد من هذا الجانب والامداد من جانب
الآخر ولزيارة المشاهد اثر عظيم في هذين الركنين اما
الاستمداد فهو بانصراف همة صاحب الحاجة باستيلاء
ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى يصير كلية همته مستغرقة
في ذلك ويقبل بكليته على ذكره وخطوره بباله وهذه
الحالة سبب جنبة لروح ذلك الشفيع او المزور حتى تعده

تلك الروح الطيبة بما يستمد منها ومن اقبل بهمته في الدنيا
على انسان في دار الدنيا فان ذلك الانسان يحس باقبال
ذلك المقبل عليه ويحيره فمن لم يكن في هذا العالم فهو اولى
بالتنبه وهو مهيأ لذلك التنبه فان اطلاع من هو
خارج عن احوال العالم الى بعض احوال العالم ممكن كما
يطلع في المنام على احوال من هو في الآخرة اهو مثاب
ام معاقب فان النوم صنو الموت واخوه فلسبب النوم
صرنا مستعدين لمعرفة احوال لم نكن مستعدين في حالة اليقظة
لها فكذلك من وصل الى دار الآخرة ومات موتا حقيقيا
كان بالاطلاع على هذا العالم اولى واحرى فاما كلية
احوال هذا العالم في جميع الاوقات فلم يكن مندرجة في سلك
معرفتهم كما لم يكن احوال الماضين حاضرة في معرفتنا في
مناماتنا عند الرؤيا وآحاد المعارف معينات ومخصصات
منها همة صاحب الحاجة وكما يؤثر منا هذه صورة الحي
في حضور ذكره وحضور نفسه بالبال فكذلك يؤثر منا

قالب الميت ومشاهدة تربته التي هي حجاب قالبه و
مشهده ليس كاثره في حال حضوره ومشاهدة قالبه
ومشهده ومن ظن انه قادر على ان يحضر في النفس
ذلك الميت عند غيبته فذلك ظن خطاء فان للمشاهدة
اثرا بينا ليس للغيبة مثله ومن استعان في الغيبة بذلك
الميت لم تكن هذه الاستعانة ايضا جزافا ولا يخلو
من اثر كما قال النبي عم من صلى على مرة صليت عليه
عشرا ومن اجاب المؤذن حلت له شفاعتي ومن زار
قبري حلت له شفاعتي فالتقرب بقالبه الذي هو اخص
الخواص به وسيلة تامة متقاضية للشفاعة والتقرب
بولده الذي هو بضعة منه ولو بعد توالد وتناسل و
التقرب بمشهده ومسجده وبلدته وعصاه وسوطه ونعله
وغضارته والتقرب بعادته وسيرته والتقرب بماله
مناسبة اليه صلى الله عليه وسلم تقرب موجب للتقرب
اليه ومفيض لشفاعته فانه لا فرق عند الانبياء صلعم

مشهده ... (marginal note)

في كونهم في دار الدنيا وفي كونهم في دار الآخرة الا في
طريق الموقة فان آلة الموقة في دار الدنيا الحواس الظاهرة
وفي العقبى آلته بها بوق الغيب اما في كسوة مثال واما
على سبيل التصريح واما الاحوال الأخر في التقرب والقرب
في الشفاعة فلا تتغير والركن الاعظم في هذا الباب الامداد
والاهتمام من جهة الممد وان لم يشعر صاحب الوسيلة
فهذا المدد فانه لو وضع شعر رسول الله صلعم او غضارته
او سوطه على قبر عاص مذنب لنجا ذلك المذنب ببركات
تلك الذخيرة من العذاب فان كان في دار انسان او في بلدة
لا يصيب تلك الدار واهلها او هذه البلدة وسكانها
وان لم يشعر به صاحب الدار وساكن البلدة فان اهتمام
النبي عم وهو في العقبى مصروف الى ما هو به منسوب
ودفع المكاره والامراض والعقوبات مفوضة من جهة الله تع
الى الملائكة وكل ملك حريص على اسعاف ما حرض النبي عم
همته اليه عن غيره كما كان في حال حيوته فان تقرب

الملائكة بروحه المقدسة بعد موته ازيد من توقيرهم بها في
حال حيوته وقد حكى ان ابا طاهر الهجري القرمطي رفع
انسانا على عنقه حتى يخرب ميزاب الكعبة فمات
ذلك الانسان على عاتقه وخر هو ميتا وان جماعة
من المصريين نقبوا في جوار روضة الرسول عم وقصدوا
اخراج شخصه ونقله الى مصر وكان ذلك في نصف الليل
فسمع اهل المدينة صوتا من الهوا احفظوا نبيكم فاوقدوا
السرج وطافوا فرأوا ذلك النقب في الجدار وحوله
جماعة من المصريين موتى ونقل انه عم غرس غصنا
في قبر انسان وقال رفع الله عن صاحبه العذاب ما دام
هذا الغصن رطبا وذلك ببركات يديه عم وكل
من اطاع سلطانا وعظمه فاذا دخل بلدته ورأى فيها
سهما من جهة ذلك السلطان او سوطا له فانه يعظم
تلك البلدة فالملائكة يعظمون النبي عم فاذا رأوا ذخائره
في دار او بلدة او قبر عظموا صاحبه وخففوا عليه

العذاب ولذلك السبب ينفع الموتى بوضع على قبورهم
المصاحف ويتلى القرآن على رؤس قبورهم ويكتب القرآن
على قراطيس ويوضع القراطيس في ايدي الموتى فهذه انواع
المناسبات على حسب حال من يريد ان يستوي مسموع مشروع
على قضية معقولة والاصل في ذلك ان وراء ما يتصوره
العقلاء امور ورد الشرع بها ولا يعلم حقايقها الا الله
تع والانبياء عم الذين هم وسائط بين الله تع وبين عباده
وان اجتمع الحذاق وتفكروا في الشكل الموضوع على مناسبة
الاعداد لسهولة الولادة وحالة الطلق ما عرفوا تلك
الخاصية فكيف يطمع انسان يعرف حقائق ما ورد به
الشرع من الاوامر والنواهي والاخبار والوعد والوعيد
وغير ذلك والعقل ضعيف وتصرفه مختصر بالاضافة
الى تلك العجايب والخواص قد قررت يا اخي طيب الله
عيشك بعض ما يمكن التلويح اليه على وفق ما انتهى اليه فطنتي
واوصيك ومن معك بالايمان بهذه الاشياء التي ورد

خاتمة

التشرع بتصحيحها دون التوقف فيها ونعوذ بالله تع
من الانكار ومعاذ الله تع من التوقف وساهدى
اليك من بعد ان وفقنى الله تع علق مضنة آخر اسم
المضنون به على غير اهله احق واولى من هذا المصنف
فان فى هذا مسائل قررتها فى عدة مواضع ومسائل
لم اقررها الا فى هذا المصنف اما المضنون الموعود
فغرضى على تقرير اشياء فيه لم اقررها فى شىء من كتبى اللهم
الا فى احياء العلوم فان فيه تلويحات واشارات
الى رموز لا يعرفها الا اهلها والله تع وتقدس
المعين والهادى وهو حسبى ونعم الوكيل وصلى الله
على محمد وآله الطيبين الطاهرين ام تمت

م ه

بلغ مقابلة بقدر الامكان
والله المستعان
وعليه
التكلان

قولهم الاعيان الثابتة صور الاسماء
يعنون انها مظهرها وظلها
داود قيصرى

قال الامام الغزالى فى بعض تصانيفه الاعيان
ماشمت رائحة الوجود وقال الجامى فى
نقش الفصوص انها لم تظهر ولا تظهر
ابدا وانما الظاهر احكامها لا هى وهذا
كلام عميق فى غاية الصعوبة اللهم يسر
لنا فهمه كما هو حقه وكما فهمناه
بهذان العالمان المكاشفان
وكل ميسر لما خلق له

20

فصل در بیان چراغ انسان بدانکه روح نفسانی که در چراغ انسانست زجاجهٔ فیض نفس فلک قمر
می شود وفیض نفس فلک قمر زجاجهٔ فیض نفس فلک عطارد می شود وفیض نفس فلک عطارد زجاجهٔ
فیض نفس فلک زهره می شود وفیض نفس فلک زهره زجاجهٔ فیض نفس فلک شمس میشود وفیض نفس فلک شمس
زجاجهٔ فیض نفس فلک مریخ می شود وفیض نفس فلک مریخ زجاجهٔ فیض نفس فلک مشتری می شود
وفیض نفس فلک مشتری زجاجهٔ فیض نفس فلک زحل می شود وفیض نفس فلک زحل زجاجهٔ فیض نفس فلک ثابتات
می شود وفیض نفس فلک ثابتات زجاجهٔ فیض نفس فلک الافلاک می شود وفیض نفس فلک الافلاک زجاجهٔ
فیض نور باری تعالی وتقدس می گردد وازین ریاضات ومجاهدات بتدریج پیدا آید وهرکرا میسر
شد هرچه همه عالم بداند وی تنها بداند وا حسن با داند که همه عالم نداند زیراکه
جملهٔ اهل عالم نسبت بوی اجزا اند واو کل است وانچ اجزا را باشد کل را باشد وانچ
کل را باشد هر جزوی را نباشد

بسم الله الرحمن الرحيم بعونك يا لطيف

الحمد لله فايض الانوار وفاتح الابصار وكاشف الاسرار ورافع الاستار
والصلوة على محمد نور الانوار وسيد الابرار وحبيب الجبار وبشير الغفار
ونذير القهار وقامع الكفار وفاضح الفجار وعلى آله واصحابه الطيبين
الطاهرين الاخيار اما بعد فقد سألتني ايها الاخ الكريم
قيض الله لك طلب السعادة الكبرى ورشحك للعروج الى الذروة
العليا وكحل بنور الحقيقة بصيرتك ونقى عما سوى الحق سريرتك
ان ابث اليك اسرار الانوار الالهية مقرونا بتأويل ما يشير اليها
ظواهر الآيات المتلوة والاخبار المروية مثل قوله تعالى الله نور السموات
والارض ومعنى تمثيله ذلك بالمشكوة والزجاجة والمصباح و
الزيت والشجرة مع قوله عم ان لله سبعين الف حجاب من نور
وظلمة وانه لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادرك بصره
ولقد ارتقيت بسؤالك هذا مرتقى صعبا تنخفض دون اعاليه

اعين الناظرين وقرعت بابا مغلقا لا يفتح الا للعلماء الراسخين
ثم ليس كل سر يكشف ويفشى ولا كل حقيقة تعرض وتجلى بل صدور
الاحرار قبور الاسرار ولقد قال بعض العارفين افشاء سر الربوبية
كفر بل قال سيد الاولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه
ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به
لم ينكره الا اهل الغرة بالله ومهما كثر اهل الاغترار وجب حفظ
الاستار على وجه الاسرار لكني اراك منشرح الصدر بالنور
منزه السر عن ظلمات الغرور فلا اشح عليك في هذا الفن
بالاشارة الى لوامع ولوايح والرمز بحقايق ودقايق وليس
الخرق في كف العلم عن اهله باقل من بثه الى غير اهله
فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم
فاقنع باشارات مختصرة وتلويحات موجزة فان تحقيق القول
فيه يستدعي تمهيد اصول وشرح فصول ليس يتسع الآن له وقتي
وليس ينصرف الى ذلك همي وفكري ومفاتيح القلوب بيد الله تعالى
يفتحها اذا شاء كما شاء بما شاء وانما الذي ينفتح في هذا الوقت

فصول ثلثة الفصل الاول في بيان ان النور الحق هو الله
وان اسم النور لغيره مجاز محض لا حقيقة له وبيانه بان تعرف معنى النور
بالوضع الاول عند العوام ثم بالوضع الثاني عند الخواص ثم بالوضع الثالث
عند خواص الخواص ثم تعرف درجات الانوار وحقايقها لينكشف لك
عند ظهور درجاتها ان الله تعالى هو النور الاعلى الاقصى وعند انكشاف
حقايقها يظهر لك انه النور الحق الحقيقي وحده لا شريك له فيه
اما الوضع الاول العامي فالنور عندهم يشير الى الظهور والظهور
امر اضافي اذ يظهر الشيء لا محالة لغيره ويبطن عن غيره فيكون ظاهرا
بالاضافة وباطنا بالاضافة واضافة ظهوره الى الادراكات لا محالة
واقوى الادراكات واجلاها عند العوام الحواس ومنها حاسة البصر
والاشياء بالاضافة الى الحس البصري ثلثة اقسام منها ما لا يبصر
بنفسه كالاجسام المظلمة ومنها ما يبصر بنفسه ولا يبصر به غيره كالاجسام
المضيئة مثل الكواكب وجمرة النار اذا لم تكن مشتعلة ومنها ما يبصر بنفسه
ويبصر به ايضا غيره كالشمس والقمر والسراج والنيران المشتعلة
والنور اسم لهذا القسم الثالث ثم تارة يطلق على ما يفيض من هذه

الاجسام

نزد بعض متصوفه نفس دیگر است و عقل دیگر چنانکه در بیرون چشم بواسطه آفتاب ادراک
چیزها میکند در اندرون نفس بمثابت چشم است و عقل بمثابت آفتاب نسبت
دو چراغ است یکی از اندرون و یکی از بیرون چراغ اندرون عقل است و
چراغ بیرون استاد داناست

بنور الشمس

الاجسام على ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال استنارت الارض
ووقع نور الشمس على الارض ونور السراج على الحايط والثوب
وتارة يطلق على نفس هذه الاجسام المشرقة لانها ايضا في نفسها
مستنيرة وعلى الجملة فالنور عبارة عما يبصر في نفسه ويبصر به غيره
هذا حده وحقيقته بالوضع الاول دقيقة لما كان سر النور
وروحه هو الظهور للادراك وكان الادراك موقوفا على وجود
النور وعلى وجود العين الباصرة ايضا اذ النور هو الظاهر
المظهر وليس شيء من الانوار ظاهرا في حق العميان ولا مظهرا
فقد ساوى الروح الباصرة النور الظاهر في كونه ركنا لا بد منه
للادراك ثم ترجح عليه في ان الروح الباصرة هي المدركة وبها
الادراك واما النور فليس بمدرك ولا به الادراك بل عنده
الادراك فكان اسم النور بالنور الباصر احق منه بالنور المبصر
فاطلقوا وقوع اسم النور على نور العين المبصرة وقالوا
في الخفاش ان نور عينه ضعيف وفي الاعمش انه ضعف نور
بصره وفي الاعمى انه فقد نور البصر وفي السواد انه يجمع نور البصر

ويقويه وان الاجفان انما خصتها الحكمة الالهية بلون السواد
ويجعل العين محفوفة بها ليجمع ضوء العين واما البياض فيفرق
ضوء العين ويضعف نوره حتى انا نضعف في النظر الى البياض
المشرق بل الى نور الشمس يبهر نور العين ويمحقه كما يمحق الضعيف
في جنب القوي فقد عرفت بهذا ان الروح الباصرة تسمى نورا
وانه لم يسمى نورا وانه لم كان اولى بهذا الاسم وهذا هو الوضع الثاني
وهو وضع الخواص حقيقة اعلم ان نور بصر العين موسوم بانواع
من النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه و
ما قرب منه قربا مفرطا ولا يبصر ما هو وراء حجاب ويبصر من الاشياء
ظاهرها دون باطنها ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها
ويبصر اشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له ويغلط كثيرا في
ابصاره فيرى الكبير صغيرا والبعيد قريبا والساكن متحركا والمتحرك
ساكنا فهي سبعة نقايص لا تفارق العين الظاهرة فان كان في الاعين
عين منزهة عن هذه النقايص كلها فليت شعري هل هي اولى باسم النور
ام لا فاعلم ان في قلب الانسان عينا هذه صفة كمالها وهي التي يعبر عنها

تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الانسانية ودع عنك
العبارات فانها اذا كثرت اوهمت عند الضعيف الحيرة كثرة
المعاني وانما نعني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع
وعن البهيمة وعن المجنون ولنسميه عقلا متابعة للجمهور في الاصطلاح
فنقول العقل اولى بان يسمى نورا من العين الظاهرة لرفعة قدره
عن النقايص السبع اما الاول فهو ان العين لا تبصر نفسها والعقل
يدرك غيره ويدرك نفسه ويدرك صفات نفسه اذ يدرك نفسه
عالما وقادرا ويدرك علم نفسه ويدرك علمه في مقدار مجن ق
الكواكب في صورة دنانير منثورة على بساط ازرق والعقل يدرك
ان الكواكب والشمس اكبر من الارض اضعافا مضاعفة وترى الكواكب
ساكنة بل ترى الظل بين يديها ساكنا وترى الصبي في نشوه ساكنا
في مقداره والعقل يدرك ان الصبي متحرك في النشو والتزايد على الدوام
والظل متحرك دايما والكواكب تتحرك في كل لحظة اميالا كثيرة كما قال
النبي صلعم لجبريل اانات الشمس فقال لا نعم فقال صلعم كيف فقال جبريل
منذ قلت لا الى ان قلت نعم قد تحركت مسيرة خمس مائة سنة والنوع

وما لم تبصرها وهو الاكثر ويتصرف في جميعها ويحكم عليها احكاما يقينيا صادقا والاسرار الباطنة عنده
ظاهرة والمعاني الخفية عنده جلية فمن اين للعين الظاهرة مساواته ومجازاته في استحقاق اسم النور
كلا انه نور بالاضافة الى العين لكنه ظلمة بالاضافة اليه بل هو جاسوس من جواسيسه وكله باخس خزائنه
وهي خزائن الالوان والاشكال يرفع الى حضرته اخبارها فيقضي فيها بما يقتضيه رايه الثاقب وحكمه النافذ
والحواس الخمس جواسيسه وله في الباطن جواسيس سواها من خيال ووهم وفكر وذكر وحفظ ووراءها
خدم وجيوش وجنود مسخرة له في عالمه الخاص يستسخرهم ويتصرف فيهم استسخار الملك عبيده بل هو
اشد استسخارا وشرح ذلك يطول
فقد ذكرناه في كتاب عجايب القلب من كتاب الاحياء
السادس ان العين تبصر
ما لا نهاية له فانها تبصر صفات الاجسام
والاجسام لا تتصور الا متناهية
والعقل يدرك المعلومات والمعلومات
لا يتصور ان تكون متناهية نعم اذا
لاحظ العلوم المفصلة فلا يكون الحاضر
الحاصل عنده الا متناهيا لكن في قوته
ادراك ما لا نهاية له وشرح ذلك يطول
فان اردت له مثالا فخذ من الجليات
فانه يدرك الاعداد ولا نهاية لها
بل يدرك تضعيفات الاثنين والثلثة
وساير الاعداد ولا يتصور لها نهاية
ويدرك انواع النسب بين الاعداد
ولا يتصور التناهي عليها بل يدرك
علمه بالشيء وعلمه بعلمه بالشيء فقوته
في هذا الواحد ايضا لا تقف عند نهاية
السابع ان العين تبصر الكبير
صغيرا فترى الشمس
صح

غلط البصر كثيرة والعقل منزه عنها فان قلت نرى العقلاء يغلطون
في نظرهم فاعلم ان فيهم خيالات واوهاما واعتقادات يظنون
احكامها احكام العقل فالغلط منسوب اليها وقد شرحنا مجامعها
في كتاب معيار العلم وكتاب محك النظر فاما العقل اذا تجرد عن غشاوة
الوهم والخيال لم يتصور ان يغلط بل يرى الاشياء على ما هي عليها وفي
تجريده عسر عظيم وانما يكمل تجرده عن هذه النوازع بعد الموت وعنده
ذلك ينكشف الغطاء وتنجلي الاسرار ويصادف كل احد ما قدم من خير
او شر محضرا ويصادف كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
وعنده يقال له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وانما
الغطاء غطاء الخيال والوهم وغيرهما وعنده يقول المغرور باوهامه
واعتقاداته الفاسدة وخيالاته الباطلة ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا
نعمل صالحا الاية فقد عرفت بهذا ان العين اولى باسم النور من
النور المعروف ثم عرفت ان العقل اولى باسم النور من العين بل بينهما
من التفاوت ما يصح معه ان يقال انه اولى بل الحق انه مستحق لاسم النور دونها
دقيقة اعلم ان العقول وان كانت مبصرة فليست المبصرات كلها عنده

على وتيرة واحدة بل بعضها يكون عنده كانها حاضرة كالعلوم الضرورية
مثل علمه بان الشيء الواحد لا يكون قديما حادثا ولا يكون موجودا معدوما
والقول الواحد لا يكون صدقا وكذبا وان الحكم اذا ثبت للشيء جوازه
ثبت لمثله وان الاخص اذا كان موجودا كان الاعم واجب الوجود فاذا وجد
السواد فقد وجب اللون واذا وجد الانسان فقد وجب الحيوان واما عكسه
فلا يلزم في العقل اذ لا يلزم من وجود اللون وجود السواد ولا من وجود
الحيوان وجود الانسان الى غير ذلك من القضايا الضرورية في الواجبات
والجائزات والمستحيلات ومنها ما لا يقارن العقل في كل حال اذا
عرض عليه بل يحتاج الى ان يهز اعطافه ويستورى زناده وينبه
عليه بالتنبيه كالنظريات وانما ينبهه كلام الحكمة فعند اشراق نور الحكمة
عليه يصير العقل مبصرا بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة واعظم
الحكم كلام الله سبحانه تعالى ومن جملة كلامه القرآن خاصة فيكون
منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة
اذ به يتم الابصار فبالحري ان يسمى القرآن نورا كما يسمى نور الشمس نورا
فمثال القرآن نور الشمس ومثال العقل نور العين وبهذا يفهم معنى قوله تعالى

آمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقوله تعالى قد جاءكم برهان
من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا تكملة لهذه الحقيقة فقد وضح من هذا
ان العين عينان ظاهرة وباطنة الظاهرة من عالم الحس والشهادة
والباطنة من عالم آخر وهو عالم الملكوت ولكل عين من العينين
شمس ونور عنده تصير كاملة الابصار احديهما ظاهرة والاخرى باطنة
والظاهرة من عالم الشهادة وهي الشمس المحسوسة والباطنة من عالم
الملكوت وهو القرآن وكتب الله المنزلة ومهما انكشف لك هذه الاسرار
كشفا تاما فقد انفتح لك اول باب من ابواب الملكوت وفي هذا العالم
اعني عالم الملكوت عجايب تستحقر بالاضافة اليها عجايب عالم الشهادة ومن لم
يسافر الى هذا العالم وقعد به القصور في حضيض عالم الشهادة فهو
بهيمة بعد لحرمه عن خاصية الانسانية بل اضل من البهيمة فان البهيمة
لم تؤت اجنحة الطيران الى ذلك العالم ولذلك قال تعالى اولئك كالانعام
بل هم اضل واعلم ان عالم الشهادة بالاضافة الى عالم الملكوت كالقشر
بالاضافة الى اللب وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح وكالظلمة
بالاضافة الى النور وكالسفل بالاضافة الى العلو فلذلك يسمى عالم الملكوت

العالم

العالم العلوي والعالم الروحاني والعالم النوراني وفي مقابلته السفلي
الجسماني والظلماني ولا تظنن انا نعني بالعالم العلوي السموات
فانها علو وفوق في حق عالم الشهادة والحس ويشاركنا في دركها
البهائم واما العبد فلا ينفتح له باب الملكوت ولا يصير ملكوتيا
الا ويبدل في حقه الارض غير الارض والسموات فيصير كل ما تحت
الحس والخيال ارضه ومن جملته السموات وكل ما ارتفع من الحس
سماؤه وهذا هو المعراج الاول لكل سالك وابتداء سفره الى قرب
الحضرة الربوبية فالانسان مردود الى اسفل السافلين ومنه
يترقى الى العالم الاعلى واما الملائكة فانهم من جملة عالم الملكوت
عاكفون في حظيرة القدس ومنها يشرفون الى العالم الاسفل
ولذلك قال صلعم ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم افاض عليهم
من نوره وقال عم ان لله تعالى ملائكة هم اعلم باعمال العباد منهم
والانبياء اذا بلغ معراجهم المبلغ الاقصى واشرفوا منها الى السفل
ونظروا من فوق الى تحت اطلعوا ايضا على قلوب العباد واشرفوا
على جملة من علوم الغيب اذ من كان في عالم الملكوت كان عند الله تعالى

الحس

الناس

وعنده مفاتح الغيب اى من عنده تنزل اسباب الموجودات فى
عالم الشهادة اذ عالم الشهادة اثر من آثار ذلك العالم يجرى منه
مجرى الظل بالاضافة الى الانسان ومجرى الثمرة بالاضافة الى المثمر
والمسبب بالاضافة الى السبب ومفاتح معرفة المسببات لا توجد
الا من الاسباب ولذلك كان عالم الشهادة مثالا لعالم الملكوت
كما سياتى فى بيان المشكوة والمصباح والشجرة لان المسبب
لا يخلو عن موازاة السبب ومحاكاته نوعا من المحاكات على قرب
او على بعد وهذا الان له غور عميق ومن اطلع على كنه حقيقته
انكشف له حقايق امثلة القرآن على يسر دقيقة ولنرجع الى
حقيقة النور فنقول ان الذى كان يبصر نفسه وغيره فهو اولى
باسم النور من الذى لا يؤثر فى غيره اصلا بل بالحرى ان يسمى سراجا
لفيضان انواره الى الغير وهذه الخاصية توجد للروح القدسى النبوى
اذ تفيض بواسطته انواع المعارف على الخلايق وبهذا يعرف
معنى تسمية الله تعالى محمدا صلعم سراجا منيرا والانبياء كلهم سرج وكذا
العلماء لكن التفاوت بينهم لا يحصى حقيقة فاذا كان اللايق بالذى

يستفاد منه انوار الابصار ان يسمى سراجا منيرا فالذى يقتبس منه
السراج فى نفسه جدير بان يكنى عنه بالنار وهذه السرج الارضية
انما تقتبس فى اصلها من انوار علوية والروح القدسى النبوى يكاد
زيته يضئ ولو لم تمسسه نار ولكن انما يصير نورا على نور اذا مسته
النار وبالحرى ان يكون مقتبس الارواح الارضية هى الروح الالهية
العلوية التى وصفها على وابن عباس رضى الله عنهما فقالا فى الروح
المذكور فى قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا انه لله
ملكا له سبعون الف وجه وفى كل وجه سبعون الف فم و
فى كل فم سبعون الف لسان يسبح الله تعالى بجميعها وهو الذى
قوبل بالملائكة كلهم فقيل يوم يقوم الروح والملائكة صفا فهى
اذا اعتبرت من حيث يقتبس منها السرج الارضية هى الروح
الالهية فلم يكن لها مثال الا النار وذلك لا يونس الا من جانب الطور
دقيقة ها الانوار السماوية التى منها تقتبس الانوار الارضية ان
كان لها ترتيب بحيث يقتبس بعضها من بعض فالاقرب من المنبع
اولى باسم النور لانه اعلى رتبة ومثال ترتيبه فى عالم الشهادة لا

تدركه الا بان تفرض ضوء القمر داخلا من كوة بيت واقعا على
مرآة منصوبة على حايط فينعكس منها الى حايط آخر في مقابلته
ثم منعطفا منه الى الارض بحيث تستنير الارض به فانت تعلم ان
ما على الارض من النور تابع لما على الحايط وما على الحايط تابع
لما على المرآة وما على المرآة تابع لما في القمر وما في القمر تابع لما في
الشمس اذ منها يشرق النور على القمر وهذه الانوار الاربعة مرتبة
بعضها اعلى واكمل من بعض ولكل واحد مقام معلوم ودرجة خاصة
لا يتعداها فاعلم انه قد انكشف لارباب البصاير ان الانوار الملكوتية
انما وجدت على ترتيب كذلك وان المقرب هو الاقرب الى النور الاقصى
فلا يبعد ان يكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل وان فيهم الاقرب
لقرب درجته من حضرة الربوبية التي هي منبع الانوار كلها و
ان فيهم الادنى وبينهما درجات تستعصي على الاحصاء وانما
المعلوم كثرتهم وترتيبهم في مقاماتهم وصفوفهم وانهم كما وصفوا
به انفسهم اذ قالوا وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون
دقيقة اذا عرفت ان الانوار لها ترتيب فاعلم انه لا يتسلسل الى غير

نهاية بل يرتقي الى منبع اول هو النور لذاته وبذاته ليس يأتيه
النور من غيره ومنه تشرق الانوار كلها على ترتيبها فانظر الآن
ا اسم النور احق واولى بالمستنير المستعير نوره من غيره ام
بالنير في ذاته المنير لكل ما سواه فما عندي انه يخفى عليك الحق
فيه وبه يتحقق ان اسم النور احق بالنور الاقصى الذي لا نور فوقه
ومنه ينزل النور الى غيره حقيقة بل اقول ولا ابالي بان
اقول اسم النور على غير النور الاول مجاز محض اذ كل ما سواه
اذا اعتبر ذاته فهو في ذاته من حيث ذاته لا نور له بل نوره مستعار
من غيره ولا قوام لنورانية النور المستعار بنفسها
بل بغيرها ونسبة المستعار منه الى المستعير مجاز محض
افترى ان من استعار فرسا وثيابا ومركبا وسرجا وركب
في الوقت الذي اركبه المعير وعلى الرسم الذي رسمه له
اغنى بالحقيقة او بالمجاز وان المعير هو الغني او المستعير
كلا بل المستعير فقير في نفسه كما كان وانما الغني هو المعير الذي
منه الاعطاء والاعارة واليه الاسترداد والانتزاع فاذا

النور الحق الذي له الخلق والامر ومنه الانارة اولا والاداء[مع]
ثانيا فلا شركة لاحد معه في حقيقة هذا الاسم ولا في الاستحقاق
لهذا الاسم الا من حيث تسميته به وتفضل عليه بتسميته [كتفضل]
المالك على عبده اذا اعطاه مالا ثم سماه مالكا ومهما [انكشف]
للعبد هذه الحقيقة علم انه وماله لمالكه على التفرد لا شريك [له]
اصلا والبتة دقيقة لا مهما عرفت ان النور يرجع الى
الظهور والاظهار ومراتبه فاعلم انه لا ظلمة اشد من كتم [العدم]
لان المظلم سمي مظلما لانه ليس يظهر للابصار اذ ليس يصير [موجودا]
للبصر مع انه موجود في نفسه فالذي ليس موجودا لا [لغيره]
ولا لنفسه كيف لا يستحق ان يكون هو الغاية في الظلمة [و]
في مقابلته الوجود فهو النور فان الشيء ما لم يظهر في ذاته
لا يظهر لغيره والوجود ايضا ينقسم الى ما للشيء في ذاته [من ذاته]
والى ما له من غيره فوجوده مستعار لا قوام له بنفسه
بل اذا اعتبر ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما هو
موجود من حيث نسبته الى غيره وذلك ليس بوجود [حقيقي]

كما عرفت في مثال استعارة الثوب والقباء فالموجود الحق هو الله [سبحانه]
وتعالى كما ان النور الحق هو الله سبحانه وتعالى حقيقة من ههنا
ترقى العارفون من حضيض المجاز الى يفاع الحقيقة واستكملوا
معارجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية ان ليس في الوجود الا الله سبحانه [وتعالى]
وان كل شيء هالك الا وجهه لا انه يصير هالكا في وقت من الاوقات
بل هو هالك ازلا وابدا لا يتصور الا كذلك فان كل شيء سواه اذا
اعتبر ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض واذا اعتبر من الوجه الذي
سرى الوجود اليه من الاول الحق رأيت موجودا لا في ذاته لكن
من الوجه الذي يلي موجده فيكون الموجود وجه الله فقط فلكل [شيء]
وجهان وجه الى نفسه ووجه الى ربه فهو باعتبار وجه [نفسه]
عدم وباعتبار وجه الله تعالى موجود فاذا كل شيء هالك الا
وجهه ازلا وابدا ولم يفتقر هؤلاء الى قيام القيامة ليسمعوا
نداء البارى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بل هذا النداء
لا يفارق سمعهم ابدا ولم يفهموا من معنى قوله الله اكبر انه اكبر من غيره
حاش لله اذ ليس في الوجود معه غيره حتى يكون اكبر منه بل ليس لغيره

اقول قد يسمى به الوجه بالوجه الخاص
عند القوم وهو عبارة عن ان لكل
ممكن نسبة الى حضرة الوجود
والحاصل ان وجود الممكنات
عبارة عن نسبتها لحضرة الوجود
فلا ذرة في الوجود الا ولها
حصة من ذلك المطلق ويعبر
عنها بالوجه الخاص وليس
يلزم من هذا حلول وتقسيم
اذ الحلول والتقسيم فرع
الاثنينية فافهم فان هذا
البحث من مزال الافهام ومزالق
الاقدام لمحرره

رتبة المعية بل رتبة التبعية بل ليس لغيره وجود الا من الوجه الذي
يليه فالموجود وجهه فقط ومحال ان يقال انه اكبر من وجهه
بل معناه انه اكبر من ان يقال اكبر بمعنى الاضافة والمقايسة واكبر
من ان يدرك غيره كنه كبريائه نبيا كان او ملكا بل لا يعرف الله
كنه معرفته الا الله بل كل معروف داخل تحت سلطان العارف
وتحت استيلائه وذلك ينافي الجلال والكبرياء وهذا له تحقيق
ذكرناه في كتاب المقصد الاقصى في معاني اسماء الله الحسنى

اشارة العارفون بعد العروج الى سماء الحقيقة اتفقوا
في انهم لم يروا في الوجود الا الواحد الحق لكن منهم من كان له
هذه الحالة عرفانا علميا ومنهم من صار له ذلك حالا ذوقيا و
انتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة و
استهوت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم
متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر انفسهم ايضا فلم يكن عندهم
الا الله فسكروا سكرا دفع دونه سلطان عقولهم فقال احدهم
انا الحق وقال الاخر سبحاني ما اعظم شاني وقال آخر ما في جبتي

الا الله وكلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى فلما خفف
عنهم سكرهم وردوا الى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في
الارض عرفوا ان ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل شبه الاتحاد مثل
قول القايل في حالة فرط عشقه شعر انا من اهوى ومن اهوى انا
فلا يبعد ان يفاجئ الانسان مرآة فينظر فيها ولم ير المرآة قط
فيظن ان الصورة التي يراها هي صورة المرآة متحدة بها
ويرى الخمر في الزجاج فيظن ان الخمر لون الزجاج واذا صار
ذلك عنده مألوفا ورسخ فيه قدمه استغفر وقال

رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الامر
فكانها خمر ولا قدح ... وكانها قدح ولا خمر

وفرق بين ان يقول الخمر قدح وبين ان يقول كانه القدح و
هذه الحالة اذا غلبت سميت بالاضافة الى صاحب الحالة فناء
بل فناء الفناء لانه فني عن نفسه وفني عن الفناء لانه ليس يشعر
بنفسه في تلك الحالة ولا بعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم
شعوره بنفسه لكان قد شعر بنفسه وتسمى هذه الحالة بالاضافة

الى المستغرق به بلسان المجاز اتحاداً وبلسان الحقيقة توحيداً
ووراء هذه الحقايق اسرار لا يجوز الخوض فيها خاصة ولعلك تشتهى
ان تعرف وجه اضافة نوره الى السموات والارض بل وجه كونه في ذاته
نور السموات والارض ولا ينبغى ان يخفى ذلك عليك بعد ان عرفت
انه النور ولا نور سواه وانه كل الانوار وانه النور الكلى لان
النور عبارة عما الاشياء تنكشف به واعلى منه ما ينكشف به
وله ومنه وليس فوقه نور اقتباسه منه واستمداده بل ذلك له
في ذاته من ذاته لذاته لا من غيره ثم عرفت ان هذا لن يتصف به
الا النور الاول ثم عرفت ان السموات والارض مشحونة نوراً
من طبقتى النور اعنى المنسوب الى البصر والبصيرة اى الى الحس
والعقل اما البصرى فما نشاهده في السموات من الكواكب والشمس
والقمر وما نشاهده في الارض من الاشعة المنبسطة على كل
ما على الارض حتى ظهرت به الالوان المختلفة خصوصاً في الربيع و
على كل حال في الحيوانات والمعادن واصناف الموجودات
ولولاها لم يكن للالوان ظهور بل وجود ثم ساير ما يظهر للحس من

الاشكال

الاشكال والمقادير يدرك تبعاً للالوان ولا يتصور ادراكها
الا بواسطتها واما الانوار العقلية المعنوية فالعالم الاعلى مشحون بها
وهى جواهر الملائكة والعالم الاسفل مشحون بها وهى الحيوة الحيوانية
ثم الانسانية وبالنور الانسانى السفلى ظهر نظام العالم السفلى
كما بالنور الملكى ظهر نظام عالم العلو وهو المعنى بقوله تع هو
انشاكم من الارض واستعمركم فيها وقال ليستخلفنكم في الارض
وقال ويجعلكم خلفاء الارض وقال انى جاعل في الارض خليفة
فاذا عرفت بهذا عرفت ان العالم باسره مشحون بالانوار الظاهرة
البصرية والباطنة العقلية ثم عرفت ان السفلية فايضة بعضها
من بعض فيضان النور من السراج وان السراج هو الروح النبوى
القدسى وان الارواح القدسية النبوية مقتبسة من الانوار
العلوية اقتباس السراج من النار وان العلويات بعضها مقتبسة
من البعض وان ترتيبها ترتيب مقامات ثم ترتقى جملتها الى نور
الانوار ومعدنها ومنبعها الاول وان ذلك هو الله تعالى وحده
لا شريك له وان ساير الانوار مستعارة وانما الحقيقى نوره فقط

وان الكل من نوره بل هو الكل بل هو هو لا هوية لغيره الا بالمجاز

فاذاً لا نور الا هو وساير الانوار انوار من الوجه الذي يليه لا من

ذاتها فوجه كل ذي وجه اليه وهو موليه شطره واينما تولوا فثم

وجه الله فاذاً لا اله الا هو فان الاله عبارة عما الوجوه مولية

نحوه بالعبادة والتاله اعنى وجوه القلوب فانها الانوار بل

كما لا اله الا هو فلا هو الا هو لان هو عبارة عما اليه اشارة

وكيفما كان فلا اشارة الا اليه بل كلما اشرت اليه فهو بالحقيقة اشارة

اليه وان كنت لا تعرفه انت لغفلتك عن حقيقة الحقايق التي ذكرناها

ولا اشارة الى نور الشمس بل الى الشمس وكل ما في الوجود فنسبته اليه

في ظاهر المثال كنسبة النور الى الشمس فاذاً لا اله الا الله توحيد العوام

ولا هو الا هو توحيد الخواص لان هذا اتم واخص واعم واشمل

واحق وادق وادخل بصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية

الصرفة ومنتهى معراج الخلايق مملكة الفردانية وليس وراء ذلك

مرقاة اذ المراقي لا يتصور الا بكثرة فانه نوع اضافة تستدعي ما

منها الارتقاء وما اليها الارتقاء واذا ارتفعت الكثرة وحقت

التوحيد
بعني معنى اسقاط الاضافات
يعني استقاط سوى

٧٦

الوحدة بطلت الاضافات وطاحت الاشارات ولم يبق علو ولا سفل

ولا نازل ولا مرتفع واستحال الترقي واستحال العروج فليس وراء

الاعلى علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة عروج

فان كان من تغير حالٍ فبالنزول الى سماء الدنيا اعني بالاشراف

من علو الى سفل لان الاعلى له اسفل وليس له اعلى فهذه غاية

الغايات ومنتهى الطلبات يعلمه من يعلمه وينكره من يجهله

وهو من العلم الذي هو كهيئة المكنون الذي لا يعلمه الا العلماء

بالله فاذا انطقوا به لم ينكره الا اهل الغرة بالله ولا يبعد ان

يقول العلماء ان النزول الى سماء الدنيا هو نزول ملك فقد توهم

بعض العارفين ما هو ابعد منه اذ قال هذا المستغرق بالفردانية

ايضاً له نزول الى سماء الدنيا فان ذلك هو نزوله الى استعمال الحواس

وتحريك الاعضاء واليه الاشارة بقوله صرت سمعه الذي يسمع به

وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به فهو السامع والباصر

والناطق اذاً لا غيره واليه الاشارة بقوله مرضت فلم تعدني الحديث

فحركات هذا الموحد من السماء الدنيا واحساساته كالسمع والبصر

من سماء فوقه وعقله فوق ذلك وهو يترقى الى تمام سبع طبقات
ثم بعده يستوى على عرش الوحدانية ومنه يدبر الامر في طبقات
سمواته فربما نظر الناظر اليه فاطلق القول بان الله خلق آدم على
صورة الرحمن الى ان يمعن بالنظر فيعلم ان ذلك له تاويل كقول القائل
انا الحق وسبحاني بل كقوله صلعم مرضت فلم تعدني وكنت سمعه
وبصره ولسانه وقاري الآن قبض عنان البيان فما رالك تطيق
من هذا اكثر من هذا القدر مساعدتك لعلك لا تسمو الى معنى
هذا الكلام بهمتك بل يقصر دون ذروته فهمك فخذ اليك كلاماً
اقرب الى فهمك واوفق لضعفك واعلم ان معنى كونه نور السموات
والارض تعرفه بالنسبة الى النور الظاهر البصري فاذا رايت انوار
الربيع وخضرته مثلاً في ضياء النهار فلست تشك في انك ترى
الالوان وربما ظننت انك لست ترى مع الالوان غيرها فانك
تقول لست ارى مع الخضرة غير الخضرة ولقد اصر على هذا قوم
فزعموا ان النور لا معنى له وانه ليس مع الالوان غير الالوان فانكروا
وجود النور مع انه اظهر الاشياء وكيف لا وبه تظهر الاشياء الذى وهو

يُبصر في نفسه ويبصر به غيره كما سبق لكن عند غروب الشمس وغيبة
السراج ووقوع الظل ادركوا تفرقة ضرورية بين محل الظل وبين
مواقع الضياء فاعترفوا بان النور معنى وراء الالوان يدرك مع الالوان
حتى كانه لشدة اتحاده بها لا يدرك ولشدة ظهوره يختفى وقد يكون
الظهور سبب الخفاء والشيء اذا جاوز حده انعكس على ضده فاذا
عرفت هذا فاعلم ان ارباب البصاير ما راوا شيئاً الا راوا الله معه
وربما زاد على هذا بعضهم فقال ما رايت شيئاً الا رايت الله قبله لان
منهم من يرى الاشياء به ومنهم من يرى الاشياء بعده والى الاول
الاشارة بقوله اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد والى الثانى
بقوله سنريهم اياتنا فى الآفاق فالاول صاحب مشاهدة والثانى
صاحب استدلال فالاول درجة الصديقين والثانى درجة
العلماء الراسخين وليس بعدهما الا درجة الغافلين المحجوبين
فاذا عرفت هذا فاعلم انه اذا ظهر كل شيء للبصر بالنور الظاهر
فقد ظهر كل شيء للبصيرة الباطنة بالله فهو مع كل شيء لا يفارقه
ثم يظهر به كل شيء كما ان النور مع كل شيء وبه يظهر ولكن بقى هاهنا

نور حیرت در شب اندیشه اوصاف تو
بس همایون مرغ عقل از آشیان انداخته

نفادة وهو ان النور الظاهر يتصور ان يغيب بغروب الشمس فيحجب
حتى يظهر الظل واما النور الالهي الذي به يظهر كل شيء لا يتصور
غيبته بل يستحيل تغيره فيبقى مع الاشياء دايما فانقطع طريق الاستدلال
بالتفرقة ولو تصورت غيبته لانهدت السموات والارض و
لادرك به من التفرقة ما يضطر معه الى المعرفة بما به ظهرت الاشياء
ولكن لما تساوت الاشياء كلها على نمط واحد في الشهادة بوحدانية
خالقها اذ كل شيء يسبح بحمده لا بعض الاشياء وفي جميع الاوقات
لا في بعض الاوقات ارتفعت التفرقة وخفي الطريق اذ الطريق الظاهر
معرفة الاشياء بالاضداد اذ ما لا ضد له ولا تغير له تتشابه الاحوال
في الشهادة له فلا يبعد ان يخفى ويكون خفاؤه لشدة جلائه و
الغفلة عنه لاشراق ضيائه فسبحان من اخفى معنى هذا الكلام على
بعض القاصرين فيفهم من قولنا ان الله مع كل شيء كالنور مع الاشياء
اشارة انه في كل مكان تعالى وتقدس عن النسبة الى المكان بل لعل الابعد عن
هذا الخيال ان يقول انه قبل كل شيء وانه فوق كل شيء وانه مظهر لكل
شيء والمظهر لا يفارق المظهر في معرفة صاحب البصيرة فهو الذي نعني

بقولنا

بقولنا انه مع كل شيء ثم لا يخفى عليك ايضا انه معه بوجه وقبله بوجه
فلا تظنن انه متناقض واعتبر بالمحسوسات التي هي درجتك في العرفان
وانظر كيف يكون حركة اليد مع حركة ظل اليد وقبله ايضا ومن لم يتسع
صدره لمعرفة هذا فليهجر هذا النمط من العلم فلكل علم رجال وكل ميسر
لما خلق له **الفصل الثاني** في بيان مثال المشكوة والمصباح
والزجاجة والشجرة والزيت والنار ومعرفة هذا تستدعي تقديم
قطبين يتسع المجال فيهما الى غير حد محدود ولكني اشير اليهما بالرمز و
الاختصار احدهما في بيان سر التمثيل ومنهاجه ووجه ضبط ارواح
المعاني بقوالب الامثلة ووجه كيفية المناسبة بينهما وكيفية الموازنة
بين عالم الشهادة الذي منه تتخذ طينة الامثال وعالم الملكوت الذي
منه يستنزل ارواح المعاني والثاني في طبقات ارواح الطينة البشرية
ومراتب انوارها فان هذا المثال مسوق لبيان ذلك اذ قرأ ابن مسعود
مثل نوره في قلب المؤمن كمشكوة وقرأ ابي بن كعب مثل نور قلب من آمن
كمشكوة **القطب الاول** في بيان سر التمثيل ومنهاجه
فاعلم ان العالم عالمان روحاني وجسماني وان شئت قلت حسي وعقلي

وان شئت قلت علوى سفلى والكل متقارب وانما يختلف باختلاف
العبارات فاذا اعتبرتهما في انفسهما قلت جسمانى وروحانى وان
اعتبرتهما بالاضافة الى العين المدركة لهما قلت حسى وعقلى وان اعتبرتهما
باضافة احدهما الى الآخر قلت علوى وسفلى وربما سميت احدهما عالم الملك
والشهادة والآخر عالم الغيب والملكوت ومن يطلب الحقايق من الالفاظ
ربما تحير عند كثرة الالفاظ وتخيل كثرة المعانى والذى تنكشف له الحقايق
يجعل المعانى اصلا والالفاظ تابعة وامر الضعيف العقل منه بالعكس
اذ يطلب الحقايق من الالفاظ والى الفريقين الاشارة بقوله
افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم
واذا عرفت معنى العالمين فاعلم ان العالم الملكوتى عالم غيب
اذ هو غايب عن الاكثرين والعالم الحسى عالم شهادة اذ يشهده
الكافة والعالم الحسى مرقاة الى العقلى فلو لم يكن بينهما اتصال
ومناسبة لانسد طريق الترقى اليه ولو تعذر ذلك لتعذر السفر
الى الحضرة الربوبية والقرب من الله تعالى فلن يقرب احد من الله تعالى
ما لم يطأ بحبوحة حظيرة القدس والعالم المرتفع عن ادراك الحس

و

والخيال هو الذى نعنيه بعالم القدس فاذا اعتبرنا جملته بحيث لا
يخرج منه ما هو منه ولا يدخل فيه ما هو غريب منه سميناه حظيرة
القدس وربما سمينا الروح البشرى الذى هو مجرى لوايح القدس
الوادى المقدس ثم هذه الحظيرة فيها حظاير بعضها اشد امعانا
فى معانى القدس ولكن لفظ الحظيرة يحيط بجميع طبقاتها فلا تظنن
ان هذه الالفاظ طامات غير معقولة عند ارباب البصاير واشتغالى
الآن بشرح كل لفظ مع ذكره يصدنى عن المقصد فعليك بتيسير
فهم الالفاظ فارجع الى الغرض واقول لما كان عالم الشهادة مرقاة الى عالم
الملكوت وكان سلوك الصراط المستقيم عبارة عن هذا الترقى وقد يعبر عنه
بالدين وبمنازل الهدى فلو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لم يكن الترقى
من احدهما الى الآخر فجعلت الرحمة الالهية عالم الشهادة على موازنة
عالم الملكوت فما من شيء فى هذا العالم الا وهو مثال لشيء فى ذاك
العالم وربما كان الشيء الواحد مثالا لاشياء من عالم الملكوت وربما
كان للشيء الواحد من الملكوت امثلة كثيرة من عالم الشهادة وانما
يكون مثالا اذا ماثله نوعا من المماثلة وطابقه نوعا من المطابقة واحصاء

تلك الامثلة يستدعى استقصاء جميع موجودات العالمين باسرها
ولن تفى به القوة البشرية ولم يتسع لفهمه خاطر البشر ولا تفى بشرحه
الاعمار القصيرة فغايتى ان اعرفك منها انموذجا لتستدل به (منها) بالیسير
على الكثير وينفتح لك باب الاستبصار بهذا النمط من الاسرار فاقول
ان كان فى عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة يعبر عنها بالملائكة منها
تفيض الانوار على الارواح البشرية ولاجلها تدعى اربابا ويكون الله تعالى
رب الارباب لذلك ويكون لها مراتب فى نورانيتها متفاوتة فبالحرى ان (يكون)
مثالها من عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب والسالك للطريق (اولا)
ينتهى الى ما درجته درجة الكوكب فيتضح له اشراق نوره و (اشراق)
ينكشف له ان العالم الاسفل باسره تحت سلطانه وتحت
نوره ويتضح له من جماله وعلو درجته ما يبادر فيقول هذا
ربى ثم اذا اتضح له ما فوقه مما رتبته رتبة القمر راى
افول الاول فى مغرب الهوى بالاضافة الى ما فوقه فقال لا احب
الافلين وكذلك يترقى حتى ينتهى الى ما مثاله الشمس فيراه (اكبر)
واعلى فيراه قابلا للمثال بنوع مناسبة له معه والمناسبة

(للذى)
مع ذى النقص نقص وافول ايضا فمنه يقول وجهت وجهى
ومعنى الذى اشارة مبهمة لا مناسبة لها اذ لو قال قايل ما مثال (مفهوم)
الذى لم يتصور ان يجاب عنه فالمنزه عن كل مناسبة هو (الاول)
الحق ولذلك لما قال بعض الاعراب لرسول الله صلعم ما نسبة (الاله)
نزل فى جوابه قل هو الله احد الى اخرها معناه ان التقديس (و)
التنزيه عن النسبة نسبته ولذلك لما قال فرعون لموسى
ما رب العالمين كالطالب لماهيته لم يجب الا بتعريفه بافعاله
اذ كانت الافعال اظهر عند السائل فقال رب السموات والارض
فقال فرعون لمن حوله الا تستمعون كالمنكر عليه فى عدوله فى (جوابه)
عن مطلب الماهية فقال موسى ربكم ورب آبائكم الاولين فنسبه فرعون
الى الجنون اذ كان مطلبه المثال والماهية وهو يجيب عن الافعال (فقال)
ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ولنرجع الى الانموذج
فاقول علم التعبير يعرفك منهاج ضرب الامثال لان الرؤيا جزء من (النبوة)
اما ترى ان الشمس فى الرؤيا تعبيره السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة
فى معنى روحانى وهو الاستعلاء على الكافة مع فيضان الاثار

والانوار على الجميع والقمر بتعبيره الوزير لافاضة الشمس نوره بواسطة القمر
على العالم عند غيبتها كما يفيض السلطان آثاره بواسطة الوزير
على من يغيب عن حضرة السلطان وان من يرى ان في يده خاتما
يختم به افواه الرجال وفروج النساء فتعبيره انه يؤذن
قبل الصبح في رمضان وان من يرى انه يصب الزيت في الزيتون
فتعبيره ان تحته جارية هي امه وهو لا يعرفها واستقصاء ابواب
التعبير في امثال هذا الجنس غير ممكن فلا يمكننا الاشتغال بعدها بل اقول
كما ان الموجودات العالية الروحانية ما مثاله الشمس والقمر و
الكواكب فكذلك فيها ما له امثلة اخرى اذا اعتبرت منها اوصاف
اخر سوى النورانية فان كان في تلك الموجودات ما هو ثابت لا يتغير
وعظيم لا يستصغر ومنه تنفجر الى اودية القلوب البشرية مياه
المعارف ونفايس المكاشفات فمثاله الطور وان كان ثم موجودات
تتلقى تلك النفايس اوكد بعضها بعد البعض فمثاله الوادي وان كانت
تلك النفايس بعد اتصالها بالقلوب البشرية تجري من قلب الى قلب
فهذه القلوب ايضا اودية ومفتتح الوادي قلوب الانبياء ثم

العلماء ثم من بعدهم ولو كانت هذه الاودية دون الاول وعنها
تغترف فبالحري ان يكون الاول هو الوادي الايمن لكثرة يمنه و
علو درجته وان كان الاول تتلقى من آخر درجات الوادي الايمن
فمغترف شاطي الوادي دون لجته ومبداه وان كان روح النبي
سراجا وكان ذلك الروح مقتبسا بواسطة وحي كما في قوله تعالى
اوحينا اليك روحا من امرنا فما منه الاقتباس مثاله النار وان
كان المتلقفون من الانبياء بعضهم على محض التقليد لما سمعه
وبعضهم على حظ في البصيرة فمثال حظ المقلد الخبر ومثال
حظ المستبصر الجذوة والقبس والشهاب فان صاحب الذوق
يشارك النبي في بعض الاحوال ومثال تلك المشاركة الاصطلاء
وانما يصطلي بالنار من معه النار لا من يسمع خبرها وان كان
اول منزل الانبياء الترقي الى العالم المقدس عن كدورة
الحس والخيال فمثال ذلك المنزل الوادي المقدس وان كان
لا يمكن وطء ذلك الوادي المقدس الا باطراح الكونين اعني
الدنيا والآخرة والتوجه الى الواحد الحق لان الدنيا والآخرة

متقابلتان متحاذيتان وهما عارضان للجوهر النوراني البشري
يمكن اطّراحهما مرة والتلبس بهما اخرى فمتى اطّرحهما عندنا لاحرام
والتوجه الى كعبة القدس خلع النعلين ومتى ترقى الى حضرة الربوبية
مرة اخرى ونقول ان كان في تلك الحضرة شيئ بواسطته تنتقش
العلوم المفصلة في الجواهر القابلة لها فمثاله القلم وان كان في
تلك الجواهر القابلة ما بعضها سابق الى التلقي ومنها ينتقل الى غيرها
فمثاله اللوح والكتاب والرق المنشور وان كان فوق الناقش للعلوم
شيئ هو مسخر له فمثاله اليد وان كان لهذه الحضرة المشتملة على اليد
واللوح والقلم والكتابة ترتيب منظوم فمثاله الصورة الانسانية وان
كان يوجد للصورة الانسانية نوع ترتيب على هذه المشاكلة فهي على
صورة الرحمن وفرق بين ان يقال على صورة الرحمن وبين ان يقال
على صورة الله لان الرحمة الالهية هي التي صورة الحضرة الا لهذه
بهذه الصورة ثم انعم على آدم فاعطاه صورة مختصرة جامعة
لجميع اصناف ما في العالم حتى كانه كل ما في العالم او هو نسخة من العالم
مختصرة وصورة آدم اعني هذه الصورة هي مكتوبة بخط الله

فهو الخط الالهي الذي ليس برقم حروف اذ يتنزه خطه ان يكون رقما
وحروفا كما يتنزه كلامه عن ان يكون صوتا وحرفا وقلمه عن ان يكون خشبا
وقصبا ويده عن ان تكون لحما وعظما ولولا هذه الرحمة لعجز الآدمي
عن معرفة ربه تعالى اذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه فلما كان هذا
من آثار الرحمة صار على صورة الرحمن لا على صورة الله فان الحضرة
الالهية غير حضرة الرحمة وغير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية
ولذلك امر بالتياذ بجميع هذه الاسماء فقال قل اعوذ برب الناس
ملك الناس اله الناس ولولا هذا المعنى لكان قوله ان الله خلق آدم
على صورة الرحمن غير منظوم لفظا بل كان ينبغي ان يقول على صورته
واللفظ الوارد في الصحيح على صورة الرحمن ولان تمييز حضرة الملك عن
حضرة الالهية والربوبية يستدعي شرحا طويلا فلنتجاوز بما
من الانموذج هذا القدر فانه بحر لا ساحل له فان وجدت
في نفسك نفورا عن هذه الامثال فآنس قلبك بقوله تعالى
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الآية وانه كيف
ورد في التفسير ان الماء هو المعرفة والقرآن والاودية القلوب

مطلب ما ينبغي ان يعلم ويعمل به

خاتمة واعتذار لا تظنن من هذا الانموذج وطريق ضرب الامثال
انها رخصة مني في رفع الظواهر او اعتقادا في ابطالها حتى اقول
مثلا لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله اخلع نعليك
حاشى لله فان ابطال الظواهر رأى الباطنية الذين نظروا
عوراء الى احد العالمين ولم يعرفوا الموازنة بين العالمين
ولم يفهموا وجهه كما ان ابطال الاسرار مذهب الحشوية فالذي
يقول بمجرد الظاهر حشوي والذي يقول بمجرد الباطن باطني
والذي يجمع بينهما كامل ولذلك قال صلعم للقرآن ظاهر وباطن
وحد ومطلع وربما نقل هذا عن علي موقوفا عليه بل اقول
فهم موسى من خلع النعلين اطراح الكونين فامتثل الامر ظاهرا
بخلع النعلين وباطنا باطراح العالمين وهذا هو الاعتبار اي العبور
من الشيء الى غيره ومن الظاهر الى السر وفرق بين من يسمع
قول رسول الله صلعم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب الكلب في
البيت ويقول ليس الظاهر مرادا بل المراد تخلية بيت القلب عن الغضب
لانه يمنع المعرفة التي هي من انوار الملائكة اذ الغضب غول العقل وبين

من يمتثل الامر في الظاهر ثم يقول الكلب ليس كلبا لصورته بل لمعناه وهو
السبعية والضراوة فاذا كان حفظ البيت الذي هو مقر الشخص
والبدن واجبا عليه ان يحفظ عن صورة الكلب فلان يجب حفظ
بيت القلب الذي هو مقر الجوهر الحقيقي الخاص عن شر الكلبية كان
اولى فاني من يجمع بين الظاهر والسر جميعا هو الكامل وهو المعنى
بقولهم الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولذلك ترى الكامل
لا تسمح نفسه بترك حد من حدود الشرع مع كمال البصيرة وهذه مغلطة
منها وقع بعض السالكين في الاباحة وطي بساط الاحكام ظاهرا
حتى انه ربما ترك احدهم الصلوة وزعم انه دايما في الصلوة بسره
وهذا اشد مغلطة الحمقى من اهل الاباحة الذين يأخذون في
الترهات كقول بعضهم ان الله غني عن عملنا وكقول بعضهم ان
الباطن مشحون بالخبايث ليس يمكن تزكيته منها ولا مطمع في
استيصال الغضب والشهوة لظنه انه مأمور باستيصالهما وهذه
حماقات فاما ما ذكرناه فهو كبوة جواد وهفوة سالك اخذه
الشيطان فدلاه بحبل الغرور وارجع الى حديث النعلين فاقول

ظاهر خلع النعلين منبه على ترك الكونين فالمثال في الظاهر حق
واداؤه الى السر الباطن حقيقة ولكل حق حقيقة واهل هذا
التنبيه هم الذين بلغوا درجة الزجاجة كما سياتي معنى الزجاجة
لان الخيال الذي يؤخذ من طينة المثال صلب كثيف يحجب عنك
الاسرار ويحول بينك وبين الانوار ولكن اذا صفى حتى صار
كالزجاج الصافي صار غير حائل عن الانوار بل صار مع ذلك مؤديا
للانوار بل صار مع ذلك حافظا للانوار عن الانطفاء بعواصف
الرياح وسياتيك قصة الزجاجة فاعلم ان العالم الكثيف الخيالي
السفلي صار في حق الانبياء زجاجة ومشكوة الانوار ومصفاة
الاسرار ومرقاة الى العالم الاعلى وبهذا يعرف ان المثال الظاهر حق
ووراءه سر دقيق على هذا النور والطور وغيره دقيقة اذا قال
الرسول صلوات الله عليه رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا
فلا تظنن انه لم يشاهد ذلك بالبصر لكنه بل رآه في يقظته كما يراه
النائم في نومه وان كان عبد الرحمن مثلا نائما في بيته بشخصه فان النوم
انما اثر في امثال هذه المشاهدات لقهره سلطان الحواس لنظر

النور

النور الالهي الباطن فان الحواس شاغلة له وجاذبة لصاحبها الى عالم
الحس وصارفة وجهه عن عالم الغيب والملكوت وبعض الانوار النبوة
قد يستعلي ويستولي بحيث لا يستجره الحواس الى عالمها ولا تشغله
فتشاهد في اليقظة ما يشاهد غيره في المنام ولكنه اذا كان في غاية
الكمال لم يقتصر ادراكه على محض الصورة المبصرة بل عبر منها الى السر
فانكشف له ان الايمان جاذب الى الجنة وهو العالم الاعلى والمال جاذب
الى الحيوة الحاضرة وهو العالم الاسفل فان كان الجاذب الى الاسفل
اقوى او مقاوما للجاذب الاخر صد عن المسير الى الجنة وان كان
جاذب الايمان اقوى اورث عسرا او بطوءا في سيره فيكون مثاله
من عالم الشهادة الحبو فكذلك يتجلى له انوار الاسرار من وراء
زجاجات الخيال ولذلك لا يقتصر في حكمه على عبد الرحمن وان كان
مقصورا عليه بل يحكم به على كل من قويت بصيرته واستحكم ايمانه وكثرت
ثروته كثرة تزاحم الايمان ولكن لا يقاومه لرجحان قوة الايمان
فهذا يعرفك كيفية ابصار الانبياء الصور وكيفية مشاهدتهم المعاني
من وراء الصور والاغلب ان يكون المعنى سابقا الى المشاهدة الباطنة

ثم يشرق منه على الروح الخيالي فينطبع الخيال بصورة موازية للمعنى محاكية
له وهذا النمط من الوحي في اليقظة يفتقر الى التأويل كما انه في النوم يفتقر
الى التعبير والواقع منه في النوم نسبته الى الخواص النبوية نسبة الواحد
الى ستة واربعين والواقع في اليقظة نسبته اعظم من ذلك واظن
ان نسبته اليه نسبة الواحد الى ستة واربعين والواقع في اليقظة
نسبته اعظم من ذلك واظن ان نسبته اليه نسبة الواحد الى الثلثة
فان الذي انكشف لنا من الخواص النبوية تنحصر شعبها في ثلثة اجناس
وهذا واحد من تلك الاجناس الثلثة. القطب الثاني في بيان
مراتب الارواح البشرية النورانية اذ بمعرفتها تعرف امثلة القرآن فالاول
منها الروح الحساس وهو الذي يتلقى ما يورده الحواس الخمس وكانه اصل
الروح الحيواني واوله اذ به يصير الحيوان حيوانا وهو موجود للصبي الرضيع
الثاني الروح الخيالي وهو الذي يستثبت ما اورده الحواس ويحفظه
مخزونا عنده ليعرضه على الروح العقلي الذي فوقه عند الحاجة اليه وهذا
لا يوجد للصبي الرضيع في مبدأ نشوه اذا اولع بالشيء لياخذه فاذا غيب
عنه ينساه ولا ينازعه نفسه اليه الى ان يكبر قليلا فيصير بحيث

اذا

المحفوظة

اذا غيب عنه بكى وطلبه لبقاء صورته المحفوظة في خياله وهذا
قد يوجد لبعض الحيوانات دون بعض ولا يوجد للفراش المتهافت على
النار لانه يقصد النار لشغفه بضياء النهار فيظن ان السراج
كوة مفتوحة الى موضع الضياء فيلقي نفسه عليه فيتأذى به و
لكنه اذا جاوزه وحصل في الظلمة عاوده مرة بعد اخرى و
لو كان له الروح الحافظة المستثبتة لما اداه الحس اليه من الالم
لما عاوده بعد ان تضرر مرة به واما الكلب اذا ضرب مرة بخشبة
فاذا راى الخشبة بعد ذلك من بعيد هرب. الثالث الروح العقلي
الذي به يدرك المعاني الخارجة عن الحس والخيال وهو الجوهر الانسي
الخاص ولا يوجد للبهائم ولا للصبيان ومدركاته المعارف الضرورية
الكلية كما ذكرناه عند ترجيح نور العقل على نور العين. الرابع
الروح الفكري وهو الذي يأخذ المعارف العقلية المحضة فيوقع
بينها تأليفات وازدواجات ويستنتج منها معارف شريفة ثم
اذا استفاد نتيجتين مثلا ألف بينهما مرة اخرى واستفاد منها
نتيجة اخرى ولا يزال يتزايد كذلك الى غير نهاية. والخامس

الروح القدسي النبوي الذي يختص به الانبياء وبعض الاولياء وفيه
يتجلى لوايح الغيب واحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت السموات والارض
بل من المعارف الربانية التي يقصر دونها الروح العقلي والفكري واليه
الاشارة بقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء ولا تبعد
ايها المعتكف في عالم العقل ان يكون وراء العقل طور آخر يظهر فيه
ما لا يظهر في العقل كما لا يبعد كون العقل طورا وراء التمييز والاحساس
ينكشف فيه عوالم وعجايب يقصر عنها الاحساس والتمييز فلا تجعل
اقصى الكمال وقفا على نفسك فان اردت مثالا مما نشاهده من جملة
خواص بعض البشر فانظر الى ذوق الشعر كيف يختص به قوم من الناس
وهو نوع احساس وادراك ويحرم عنه بعضهم حتى لا يتميز عندهم
الالحان الموزونة من المزحفة وانظر كيف عظمت قوة الذوق
في طايفة حتى استخرجوا بها الموسيقى والاغاني والاوتار وصنوف
الدستانات التي منها المحزن ومنها المطرب ومنها المضحك ومنها
المبكي ومنها القاتل ومنها الموجب للغشي وانما يقوى على استنباط

الآية

من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم

من

هذه الاوتار من يقوى له اصل الذوق واما العاطل عن خاصية
هذا الذوق فيشاركه البهايم في سماع الصوت ويضعف فيه هذه
الآثار وهو يتعجب من صاحب الوجدان والغشي ولو اجتمع العقلاء كلهم
من ارباب الذوق على تفهيمه معنى الذوق لم يقدروا عليه فهذا
مثال في امر خسيس لكن قربه الى فهمك فقس به الذوق الخاص النبوي
فاجتهد ان تصير بالاقيسة التي ذكرناها والتنبيهات التي رمزنا اليها
من اهل العلم بها فان لم تقدر فلا اقل من ان تكون بها من اهل الايمان
بها يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والعلم فوق
الايمان والذوق فوق العلم فالذوق وجدان والعلم قياس
وعرفان والايمان قبول مجرد بالتقليد وحسن الظن باهل الوجدان
او باهل العرفان واذا عرفت هذه الارواح الخمسة فاعلم انها
بجملتها انوار اذ بها تظهر اصناف الموجودات والحسي والخيالي منها
وان كان يشاركنا فيهما البهايم لكن الذي للانسان منه نمط آخر
اشرف واعلى وخلق للانسان لاجل غرض اجل واسمى واما الحيوانات
فلم يخلق لها الا لتكون آلتها في طلب غذائها وفي تسخيرها للآدمي

الآثار

وانما خلق للآدمي ليكون شبكة له يقتنص بها من العالم الاسفل
مبادي المعارف الدينية الشريفة اذ الانسان اذا ادرك بالحس شخصا
معينا اقتنص عقله منه معنى عاما مطلقا كما ذكرناه في مثال عبد الرحمن
بن عوف واذا عرفت هذه الارواح الخمسة فلنرجع الى الغرض الا مثلة
ببيان امثلة هذه الاية اعلم ان القول في موازنة هذه الارواح
الخمسة المشكوة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت يمكن
تطويله لكني اوجزه واقتصر على التنبيه على طريقه فاقول
اما الروح الحساس فاذا نظرت الى خاصيته وجدت انواره
خارجة من ثقب عدة كالعينين والاذنين والمنخرين وغيرها
فاوفق المثال له في عالم الشهادة المشكوة واما الروح الخيالي
فنجد له خواصا ثلثا احدها انه من طينة العالم السفلي الكثيف
لان الشيء المتخيل ذو مقدار وشكل وجهات محصورة مخصوصة و
هو على نسبة من المتخيل من قرب او بعد ومن شان الكثيف الموصوف
باوصاف الاجسام ان يحجب عن الانوار العقلية المحضة التي تتنزه
عن الوصف بالجهات والمقادير والقرب والبعد الثانية ان هذا

الخيال الكثيف اذا صفي ورقق وهذب وضبط صار موازنا للمعاني
العقلية ومؤديا لانوارها وغير حايل عن اشراق نورها الثالثة
ان الخيال الكثيف في بداية الامر يحتاج اليه جدا ليضبط به المعارف
العقلية فلا يضطرب ولا يتزلزل ولا ينتشر انتشارا يخرج عن
الضبط فنعم المعين المثالات الخيالية للمعارف العقلية وهذه الخواص
الثلث لا تجدها في عالم الشهادة بالاضافة الى الانوار المبصرة
الا للزجاجة فانها في الاصل من جوهر كثيف لكن صفي ورقق حتى
لا يحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه ويكون حافظا للسراج
اذا احتوى عليه عن الانطفاء بالرياح العاصفة والحركات العنيفة
فهو اوفق مثال له واما الثالث وهو الروح العقلي الذي
به ادراك المعارف الشريفة الالهية فلا يخفى عليك وجه تمثيله
بالمصباح وقد عرفت هذا فيما سبق من بيان معنى كون الانبياء
سراجا منيرا واما الرابع وهو الروح الفكري فمن خاصيته انه
يبتدي من اصل واحد ثم يتشعب منه شعبتان وهكذا الى
تكثير الشعب بالتقسيمات العقلية ثم يفضي بالاخرة الى نتايج

هي ثمراتها ثم تلك الثمرات تعود فتصير بذرا لامثالها اذ يكون ابصا
تلقيح بعضها بالبعض حتى تتمادى الى ثمرات وراءها كما ذكرناه في
كتاب القسطاس المستقيم فبالحري ان يكون مثاله من هذا العالم الشجرة
واذا كانت ثمارها مادة لتضاعيف انوار المعارف وثباتها وبقائها
فبالحري ان لا تمثل بشجرة السفرجل والتفاح والرمان وغيرها
بل من جملة سائر الاشجار بالزيتونة خاصة لان لب ثمرها هو
الزيت الذي هو مادة المصابيح ويختص به من سائر الادهان
بخاصية زيادة الاشراق مع قلة الدخان واذا كانت الشجرة التي
تنبت ثمرتها تسمى مباركة فالذي لا تتناهى ثمرتها الى حد محدود
اولى ان تسمى شجرة مباركة واذا كانت شعب الافكار العقلية
المحضة خارجة عن قبول الاضافة الى الجهات والقرب والبعد
فبالحري ان تكون لا شرقية ولا غربية واما الخامس وهو الروح
القدسي النبوي المنسوب الى الاولياء اذا كانت في غاية الصفاء والشرف فان
كانت الروح المفكرة منقسمة الى ما يحتاج الى تعليم وتنبيه
ومدد من خارج حتى تستمر في انواع المعارف وبعضها يكون في

الادهان جمع دهن

شدة

شدة الصفاء كانه يتنبه في نفسه بغير مدد من خارج فبالحري
ان يعبر عن الصافي البالغ في الاستعداد بانه يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسسه نار اذ في الاولياء من يكاد يستغني عن مدد الملائكة
فهذا المثال موافق لهذا القسم واذا كانت هذه الارواح مرتبة
بعضها على بعض فالحسي هو الاول وهو كالتوطئة والتمهيد للروح
الخيالي اذ لا يتصور الخيال الا موضوعا بعده والفكري والعقلي
يكونان بعدهما فبالحري ان يكون الزجاجة كالمصباح كالمحل والمشكاة
كالمحل للزجاجة فيكون المصباح في زجاجة والزجاجة في مشكاة
واذا كانت هذه كلها انوارا بعضها فوق بعض فبالحري ان يكون
نورا على نور خاتمة هذا المثل انما يصح لقلوب المؤمنين
او لقلوب الانبياء والاولياء لا لقلوب الكفار فان النور
يراد به الهداية والمصروف عن طريق الهدى باطل وظلمة بل اشد
من الظلمة لان الظلمة لا تهدي الى الباطل كما لا تهدي الى الحق
وعقول الكفار انتكست وكذلك سائر ادراكاتهم وتعاونت
على الاضلال في حقهم فمثالهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه

نوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض البحر اللجي هو الدنيا بما فيها من الاخطار

المهلكة والاشغال المردية والكدورات المعمية والموج الاول موج الشهوات

الداعية الى الصفات البهيمية والاشتغال باللذات الحسية

وقضاء الاوطار الدنيوية حتى يأكلون ويتمتعون كما تأكل الانعام

فبالحرى ان يكون هذا الموج مظلماً لان حب الشيء يعمي ويصم والموج الثاني

موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة

والحقد والحسد والمباهات والتفاخر والتكاثر وبالحرى ان يكون مظلماً

لان الغضب غول العقل وبالحرى ان يكون هو الموج الاعلى لان الغضب

في الاكثر مستولي على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عن اللذات المشتهاة

واما الشهوة فلا تقاوم الغضب الهايج اصلاً واما السحاب فهو

الاعتقادات الخبيثة والظنون والخيالات الفاسدة التي صارت

حجابا بين الكافر وبين الايمان ومعرفة الحق والاستضاءة بنور شمس

القرآن والعقل فان خاصية السحاب ان يحجب اشراق نور الشمس

واذا كانت هذه كلها مظلمة فالحرى ان تكون ظلمات بعضها فوق بعض

واذا كانت هذه الظلمات تحجب عن معرفة الاشيا القريبة فضلاً عن

البعيدة

البعيدة وكذلك حجب الكفار عن معرفة عجايب احوال رسول الله صلعم

مع قرب متناوله وظهوره بادنى تأمل فالحرى ان يعبر عنه بانه

لو اخرج يده لم يكد يراها واذا كانت منبع الانوار كلها من النور

الاول الحق كما سبق فالحرى ان يعتقد كل موحد ان من لم يجعل الله

له نوراً فما له من نور فيكفيك هذا القدر من اسرار هذه الآية

فاقنع به والسلام الفصل الثالث في معنى قوله صلعم

ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه

كل ما ادرك بصره وفي بعض الروايات سبعماية وفي بعضها سبعين الف

فاقول ان الله متجلي في ذاته لذاته ويكون الحجاب بالاضافة الى محجوب

لا محالة والمحجوبون من الخلق ثلثة اقسام منهم من حجب بمجرد الظلمة

ومنهم من حجب بالنور المحض ومنهم من حجب بنور مقرون بظلمة واصناف

هذه الاقسام كثيرة ويتحقق كثرتها ولا يمكنني ان اتكلف

حصرها ولكني لا اثق بما يلوح لي من تحديد وحصر اذ لا ادرى انه

المراد بالحديث ام لا فاما الرد الى سبع مائة او سبعين الف فذلك لا يستقل

به الا القوة النبوية مع ان ظاهر ظني ان هذه الاعداد مذكورة

للتكثير لا للتحديد وقد يجري العادة بذكر عدد لا يراد به الحصر بل
التكثير والله اعلم بتحقيق ذلك فذلك خارج عن الوسع والذي يمكنني
الآن ان اعرفك هذه الاقسام وبعض اصناف كل قسم فاقول القسم الاول
وهم المحجوبون بالظلمة المحضة وهم الملاحدة الذين لا يؤمنون بالله
واليوم الآخر وهم الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة لانهم لم
يؤمنوا بالآخرة اصلا وهؤلاء صنفان صنف تشوف الى طلب
السبب لوجود هذا العالم المدرك بالمشاهدة والعيان فاحالوا
ذلك على الطبع والطبع عبارة عن قوة مركوزة في الاجسام حالة
فيها وهي مظلمة اذ ليس لها معرفة وادراك بذاتها وتعقلها و
لا خبر لها من نفسها ولا مما يصدر منها وليس لها نور يدرك بالبصر
الظاهر ايضا والصنف الثاني هم الذين شغلوا بانفسهم
ولم يتفرغوا لطلب السبب ايضا بل عاشوا عيش البهائم فكان
حجابهم نفوسهم الكدرة وشهواتهم المظلمة ولا ظلمة اشد من الهوى
والنفس ولذلك قال الله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه
وقال صلعم الهوى ابغض اله عبد في الارض وهؤلاء انقسموا

فرقا ففرقة زعمت ان غاية المطلب في الدنيا هي الاوطار ونيل الشهوات
وادراك اللذات البهيمية من منكح ومطعم وملبس فهؤلاء عبيد هذه
اللذة الخسيسة يعبدونها ويطلبونها ويعتقدون ان نيلها
غاية السعادات رضوا لانفسهم ان يكونوا بمنزلة البهائم بل اخس
منها فاي ظلمة اشد من ذلك فقد حجب هؤلاء بمحض الظلمة وفرقة
رأت ان غاية السعادات هي الغلبة والاستيلاء والقتل والعكر
والسبي والاسر وهذا مذهب الاعراب والاكراد وكثير من الحمقى
وهم محجوبون بظلمة الصفات السبعية لغلبتها عليهم وكون ادراك مقصود ما
اعظم اللذات وهؤلاء قنعوا بان يكونوا بمنزلة السباع بل اخس
وفرقة ثالثة زعمت ان غاية السعادات كثرة المال واتساع اليسار
لان المال هو آلة قضاء الشهوات كلها وبها يحصل للانسان الاقتدار
على قضاء الاوطار فهؤلاء همتهم جمع المال واستكثار العقار والضياع
والخيل المسومة والانعام والحرث وكنز الدنانير تحت الارض فترى الواحد
لجنبه اياها طول عمره يركب الاخطار في البوادي والاسفار والبحار
ويجمع الاموال ويشح بها على نفسه فضلا عن غيره وهم المرادون

بقوله عم تعس عبد الدينار واية ظلمة اعظم مما يلبس على الانسان ان الذهب
والفضة حجران لا يراد لاعيانهما وهي اذا لم تنقض بها الاوطار ولم تنفق
فهي والحصا بمثابة وفرقة رابعة من جهالة هؤلاء وتغافلت وزعمت ان
اعظم السعادات في اتساع الجاه والصيت وانتشار الذكر وكثرة الاتباع
ونفوذ الامر المطاع فتراها لا هم لها الا المراياة وعمارة مطارح ابصار الناظرين
حتى ان الواحد قد يجوع في بيته ويحتمل الضر ويصرف ماله الى ثياب يتجمل
بها عند خروجه كي لا ينظر اليه بعين الحقارة واصناف هؤلاء كلهم محجوبون
عن الله تعالى بالظلمة المحضة وهي نفوسهم الظلمة ولا معنى فذكر احاد الفرق
بعد وقوع التنبيه على الاجناس ويدخل في جملة هؤلاء جماعة يقولون
بلسانهم لا اله الا الله لكن ربما حملهم على ذلك خوف او استظهار بالمسلمين
وتجمل بهم او استمداد من مالهم او لاجل التعصب لنصرة مذهب الآباء فهؤلاء
اذا لم تحملهم هذه الكلمة على العمل الصالح فلا تخرجهم الكلمة من الظلمات الى النور
بل اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات فاما من اثرت فيه الكلمة بحيث
ساءته سيئاته وسرته حسناته فهو خارج عن محض الظلمة وان كان
كثير المعصية القسم الثاني طائفة حجبوا بنور مقرون بظلمة وهم ثلثة

اصناف

اصناف صنف منشأ ظلمتهم من الحس وصنف منشأ ظلمتهم من
الخيال وصنف منشأ ظلمتهم من مقايسات عقلية فاسدة
الصنف الاول المحجوبون بالظلمة الحسية وهم طوائف
لا يخلو منهم واحد عن مجاوزة الالتفات الى نفسه وعن التأله
والتشوف الى معرفة ربه واول درجاتهم عبدة الاوثان و
آخرهم الثنوية وبينهما درجات فالطائفة الاولى عبدة الاوثان
علموا على الجملة ان لهم ربا يلزمهم ايثاره على نفوسهم المظلمة و
اعتقدوا ان ربهم اعز من كل شيء وانفس من كل نفيس و
لكن حجبتهم ظلمة الحس عن ان يجاوزوا العالم المحسوس
فاتخذوا من انفس الجواهر كالذهب والفضة والياقوت اشخاصا
مصورة باحسن الصور فاتخذوها آلهة وهؤلاء محجوبون
بنور العزة والجلال من صفات الله تعالى وانواره ولكنهم
الصقوها بالاجسام المحسوسة وصدهم عن ذلك النور ظلمة الحس
فان الحس ظلمة بالاضافة الى العالم الروحاني العقلي كما سبق
الطائفة الثانية جماعة من اقاصي الترك ليس لهم ملة

وشريعة يعتقدون ان لهم ربا وانه اجلى الاشياء فاذا رأوا
انسانا في غاية الجمال او شجرا او فرسا او غير ذلك يسجدوا له وقالوا
انه ربنا فهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس وهم ادخل في
ملاحظة النور من عبدة الاوثان لانهم يعبدون الجمال المطلق
دون الشخص الخاص فلا يخصصونه بشخص ثم يعبدون الجمال الطبيعي
لا المصنوع من جهتهم وطائفة ثالثة قالوا ينبغي ان
يكون ربنا نورانيا في ذاته بهيا في صورته ذا سلطان في نفسه
مهيبا في حضرته لا يطاق القرب منه ولكن ينبغي ان يكون محسوسا
اذ لا معنى لغير المحسوس عندهم ثم وجدوا النار بهذه الصفة فعبدوها
واتخذوها ربا فهؤلاء محجوبون بنور السلطنة والبهاء وكل
ذلك من انوار الله تعالى وطائفة رابعة زعموا ان النار
نستولي عليها نحن بالاشتعال والاطفاء فهي تحت تصرفنا فلا تصلح
للالهية بل ما يكون بهذه الصفات ثم يكون خارجا من ان يدخل
تحت تصرفنا ويكون مع ذلك موصوفا بالعلو والارتفاع ثم كان المشهور
فيما بينهم علم النجوم واضافة التأثيرات اليها فمنهم من عبد المشتري

ومنهم من عبد المشتري الى غير ذلك من الكواكب حسب ما اعتقدوه في النجوم
من كثرة التأثيرات فهؤلاء محجوبون بنور العلو والاشراق والاستيلاء
وهي من انوار الله تعالى وطائفة خامسة ساعدت هؤلاء في
المأخذ ولكنهم قالوا لا ينبغي ان يكون ربنا موسوما بالصغر بالاضافة
الى الجواهر النورانية بل ينبغي ان يكون اكبرها فعبدوا الشمس وقالوا
هي اكبر فهؤلاء محجوبون بنور الكبرياء مع بقية الانوار مقرونا بظلمة
الحس وطائفة ترقوا من هؤلاء وقالوا النور كله لا تنفرد به الشمس
بل للغير ايضا انوار ولا ينبغي للرب شريك في نورانيته فعبدوا
النور المطلق الجامع لجميع انوار العالم وزعموا انه رب العالم والخيرات
كلها منسوبة اليه ثم رأوا في العالم شرورا فلم يستحيوا اضافتها
الى ربهم تنزيها له عن الشر فجعلوا بينه وبين الظلمة مضادة
ولم يستحسنوا المنازعة واحالوا العالم الى النور والظلمة وربما
سموهما يزدان واهرمن وهم الثنوية ويكفيك هذا القدر تنبيها
على هذا الصنف فهم اكثر من ذلك الصنف الثاني المحجوبون ببعض
الانوار مقرونا بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس ولم يثبتوا

وراء المحسوسات امرا ولكن لم يمكنهم مجاوزة الخيال فعبدوا موجودا
قاعدا على العرش واخسهم رتبة المجسمة ثم اصناف الكرامية باجمعهم
ولا يمكنني شرح مقالاتهم ومذاهبهم فلا فائدة في التكثير لكن ارفعهم
درجة من نفى الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة المخصوصة بجهة فوق
لان الذي لا ينسب الى الجهات ولا يوصف بانه خارج العالم ولا داخله
لم يكن عندهم موجودا اذ لم يكن متخيلا ولم يدركوا ان اول درجات
المعقولات يجاوز النسبة الى الجهات الصنف الثالث المحجوبون
بالانوار الالهية مقرونا بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا
الها سميعا بصيرا متكلما عالما قادرا مريدا حيا منزها عن الجهات
لكن فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح
بعضهم وقال كلامه صوت وحرف ككلامنا وربما ترقى بعضهم فقال
لا بل هو كحديث نفسنا ولا صوت ولا حرف ولذلك اذا طولبوا
بحقيقة السمع والبصر والحيوة رجعوا الى التشبيه من حيث المعنى
وان انكروها من حيث اللفظ اذ لم يدركوا اصلا معاني
الاطلاقات في حق الله تعالى وكذلك قالوا في ارادته انها حادثة مثل

وان له طلبا وقصدا مثل قصدنا وهذه مذاهب مشهورة فلا حاجة بنا
الى تفصيلها فهؤلاء محجوبون بجملة من الانوار مع ظلمة المقايسات العقلية
الفاسدة فهؤلاء كلهم اصناف القسم الثاني وهم الذين حجبوا بنور مقرون
بظلمة القسم الثالث هم المحجوبون بمحض الانوار وهم اصناف
لا يمكن احصاؤهم فاشير الى ثلثة اصناف الصنف الاول طائفة
منهم عرفوا معاني الصفات تحقيقا وادركوا ان اطلاق اسم الكلام
والارادة والقدرة والعلم وغيره على صفاته ليس مثل اطلاقه على
البشر فتحاشوا عن تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى
المخلوقات كما عرف موسى عم في جواب قول فرعون وما رب العالمين
قالوا ان الرب المقدس المنزه عن المفهوم الظاهر من معاني الصفات
هو محرك السموات ومدبرها الصنف الثاني ترقوا من هؤلاء حيث
ظهر لهم ان في السموات كثرة وان محرك كل سماء خاصة موجود آخر
يسمى ملكا وفيهم كثرة وانما نسبتهم الى الانوار الالهية نسبة الكواكب
الى الشمس ثم لاح لهم ان هذه السموات في ضمن فلك آخر يتحرك الجميع بحركته
في اليوم والليلة مرة وقالوا الرب تعالى هو المحرك للجرم الاقصى المحتوي

على الافلاك كلها اذ الكثرة منفية عنه الصنف الثالث ترقوا من هولاء
وقالوا ان تحريك الاجسام بطريق المباشرة ينبغي ان يكون خدمة لرب العالمين
وعبادة له وطاعة من عبد من عباده يسمى ملكا نسبته الى الانوار الالهية
المحضة نسبة القمر في الانوار المحسوسة فزعموا ان الرب هو المطاع من جهة
هذا المحرك ويكون الرب تعالى محركا للكل بطريق الامر لا بطريق المباشرة
ثم في تفهيم ذلك الامر وماهيته غموض يقصر عنه اكثر الافهام ولا يحتمله
هذا الكتاب فهولاء الاصناف كلهم محجوبون بالانوار المحضة وانما
الواصلون صنف رابع تجلى لهم ان هذا المطاع ايضا موصوف بصفة
تنافي الوحدانية المحضة والكمال البالغ لسر لا يحتمل هذا الكتاب كشفه
وان نسبة هذا المطاع نسبة الشمس الى الانوار فتوجهوا من الذي يحرك
السموات ومن الذي امر بتحريكها الى الذي فطر السموات وفطر الامر فوصلوا
الى موجود منزه عن كل ما ادركه بصر من قبلهم فاحرقت سبحات وجهه
الاول الاعلى جميع ما ادركه بصر الناظرين وبصيرتهم اذ وجدوه مقدسا
منزها عن جميع ما وصفناه من قبل ثم هولاء انقسموا فمنهم من احترق
منه جميع ما ادركه بصره وانمحق وتلاشى لكن بقي هو ملاحظا للجمال و

القدس وملاحظا ذاته في جماله الذي ناله بالوصول الى الحضرة الالهية
فانمحقت منه المبصرات دون المبصر وجاوز هولاء طائفة هم
خواص الخواص فاحرقت سبحات وجهه في انفسهم وغشيهم
سلطان الجلال فانمحقوا وتلاشوا في ذواتهم فلم يبق لهم لحاظ الى
انفسهم لفنائهم عن انفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وصار معنى قوله
كل شيء هالك الا وجهه لهم ذوقا وحالا وقد اشرنا الى ذلك
في الفصل الاول وذكرناه انه كيف اطلقوا الاتحاد وكيف ظنوه
فهذه نهاية الواصلين ومنهم من لم يتدرج في الترقي والعروج
على التفصيل الذي ذكرناه ولم يطل عليهم الطريق فوصلوا في
اول وهلة الى معرفة القدس وتنزيه الربوبية عن كل ما
يجب تنزيهه عنه فغلب عليهم اولا ما غلب على الآخرين وهجم عليهم
التجلي دفعة فاحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن ان يدركه
بصر حسي وبصيرة عقلية ويشبه ان يكون الاول طريق الخليل
والثاني طريق الحبيب صلوات الله عليهما والله اعلم باسرار اقدامهما
وانوار مقامهما فهذه اشارة الى اصناف المحجوبين ولا يبعد

ان يبلغ عددهم اذا فصلت المقامات وتتبع تجمعاتها

سبعين الفا وكلهم اذا فتشت لا تجد واحدا منها خارجا عن

الاقسام التي حصرناها فانهم انما محجوبون بصفاتهم البشرية او

بالحس او بالخيال او بمقايسة العقل او بالنور المحض كما سبق

فهذا ما حضر في الوقت في جواب هذه الاسولة مع ان السؤال

صادفني والفكر منقسم والخاطر متشعب والهم الى غير هذا

الفن منصرف فحقيق على من يسأل الله تعالى العفو عما

طغى به القلم او زلت به القدم فان خوض غمرة الاسرار الالهية

خطير واستشفاف الانوار الالهية من وراء الحجب البشرية

عسى خيره يسير

... محمد ... الطبري

علي بن محمد ...

الله ...

كتبه الفقير علي المعروف بنشنبي

كفاضي بغرفة بحوي

في ... الثاني

٩٤٧